يوميد

مجموعة قصصية

حسين شوقي

اســـــم الكتـــــاب: يوميد

اســـم المـــؤلـــــف: حسين شوقي

التـرقيم الـــــدولي:978-977-6666-38-2

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشــر والتوزيع © محفوظة لدار المحرر الأدبي للنشــر والتوزيع المشــهرة برقم 24821 بتاريخ 2015/10/1. ومقرها جمهورية مصر العربية / محافظة الجيزة.

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشـــر أو تخزينه في نطاق اسـتعادة المعلومات أو نقله بأي شـكل من الأشـكال دون موافقة قانونية مكتوبة من الناشـر يعرض صـاحبه للمسـاءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

بنت فرعون تحب

الأميرة (تتي) تعســـة جدا لأنها تحب ولكن حبها مستحيل لأنه بشري.. يا للكفر! بنت الفراعنة، بنت الآلهة تحب رجلا فانيا؟ حقا إنه لخطب جلل! ماذا تفعل الأميرة في حيرتها واضطرابها الوجداني؟ ستطلع الملكة على سرها علّها تعينها في الخطب فهي أمها ذات الصـــدر الحنون، برغم ما يزعمه الناس في أن تلك الأم من منبت ربّاني، وبرغم ما يحيطونها به من مظـاهر العبـادة والتقـديس. ذهبـت الأميرة إلى الملكـة فأطلعتها على جلية الأمر. . . فحزنت الملكة من أجل ذلك حزنا شـديدا، لعلمها بأن أبنتها لن تحقق حلمها اللذيذ، وقد كان لها هي أيضـا في صـباها مثل هذا الحادث ولم يشـفها منه إلا ســـيل من الدموع.. الملكة في حيرة من أمرها لأن حب تتي ليس حبا زائلا كما توهمت أول وهلة بل هو حب مرضـــي في درجته الثالثة.. والأميرة آخذة في الذبول، على أن شـــحوب وجهها قد زادها رونقا وجمالا،.. أتطلع الملكة بدورها فرعون على الأمر؟ كلا! لا فائدة من ذلك لأن فرعون ليس بشرياً وإنما هو إله عابس نحت قلبه من صـوان نوبيا الأصـم.. ولو عرف السر لقضى على العاشق وهو فتى إغريقي في جيشه..

هـدأت الملكـة من روع (تتي)، ولكن من إذن يخرج الملكة من حيرتها؟ الكاهن الأكبر؟ أجل! هو صـــديقها وهو رجل قادر مهيب مقرّب كما يزعم الناس من الآلهة متصل بهم اتصـــالا وثيقا.. أطلعت الملكة الكاهن على الســـر، ولكن ماذا يعمل الكاهن! الكاهن يحك صـــلعته حيرة، لأن الحب كما يعلم

شـيطان متعب لا يعبأ بالرقي والتعاويذ، بل يسـخر من الآلهة والناس على السواء!.

قال الكاهن بعد أن عصـر قريحته: حسـنا يا مولاتي سنقيم تمثالا لآمون الرب الأكبر في حجرة الأميرة عساه يطرد ذلك الجني الخبيث الذي اختبأ في قلب الفتاة.. ثم مرت الأيام والتمثال لا يأتي بمعجزة، إلاّ أنه زاد في زينة الحجرة لأنه كان جميل المنظر صـنع كله من الذهب الخالص.. أمّا العاشـق واسـمه بالاس وهو من منبت إغريقي كما قدمنا فقد كاد يجن من هذه الخرافات، فضـلا عن أنه كان يحب الأميرة حبا جمّا، تلك الفتاة التي كان يدعوها بحق: الظبية الأفريقية..

ولكن ماذا يفعل بالاس في قوم يشركون الآلهة في كل شـأن من شـؤون الحياة؟ التقى بالاس ذات ليلة بالأميرة تحت شـجرة الجميز الكبرى القائمة في إحدى زوايا القصـر، حيث اعتاد الفتى والفتاة أن يتناجيا بلغة كوبيدون الشـجية، كلما سنحت لهما الفرصة، فقال بالاس: أميرتي! هيا نهجر هذا البلد الذي حرّم الحب تحت سـمائه، حيث يسـعد القط والضـفدع فيؤلهان ويقدسـان، بينما يشـقى البشـر.. لنذهب إلى يونان الجميلة.. فأجابت تتي في حماسـة: ما أعظم شـوقي إلى رؤية وطنك المحبوب ذي الجبال الشاهقة التي يرتقي منها الناس إلى مقر الآلهة في الأولمب!!.

ولكن عادت تتي فقطبت حاجبيها قائلة: ولكني أخشـى غضـب الآلهة وسـخطهم علينا يا بالاس! فصـاح بالاس: كلا يا حبيبتي لا تخشـي شـيئا لأن الحب الذي يحرك قلبينا: ما هو الا هبة من نفس أولئك الآلهة. أعد بالاس بعد تلك المقابلة زورقاً وجهزه بـالزاد لرحلـة طويلـة، وفي ليلـة ظلمـاء حمـل بـالاس الأميرة إلى الزورق نـازلا في النيـل إلى البحر الأبيض، ولم

ينس أن يحمل معه أيضا التمثال الذهبي الذي وضع في حجرة تتي لشفائها من الحب، ولما سألته الأميرة في دهشة عن سبب حمله للتمثال كذلك، أجابها مبتسما: هذا. . . مهرك يا حبيبتي!

كلبتي بلوتا

(من المظنون إن العبقرية لا تغيب طويلا عن (كرمة ابن هاني) فان البواكير التي تتفتح عنها قريحة حسين شوق في الشعر والقصص لابد أن تذكرها بمهبطها الاول ومألفها القديم. ولعلك واجد في هذه القصـــة الســـاذجة من رقة الحديث وخفة الأسلوب ما يبعث الأمل في هذا الظن)

إذا سقت إليك الحديث الآن عن كلبتي (بلوتا) فإنما هي حجة أصـــطنعها لأذكر فصـــلا من عهد الطفولة اللذيذة التي تنعش ذكراها النفس كـأنمـا هي على حد تعبير المصـــريين القدماء: مكان رطب ظليل في يوم قيظ لافح..

(بلوتا) كلبة إسـبانية. حصـلنا عليها في برشـلونة أثناء المنفى، على سـبيل الهدية.. وكان صـاحبها من رجال السـلك السـياسـي اضـطرته المهنة أن يغادر إسبانيا الى بلد آخر بعيد، وكان يخشـــى ما تجره إليه بلوتا من متاعب أثناء الطريق، فرأى أن يهديها إلينا..

قدمتنا بلوتا بعد ظهر يوم من أيام الشتاء ضـاح جميل، وكنا مجتمعين في الحديقة ننظر ذلك العضو الجديد في أسرتنا!

حقا! ما كان أجمل بلوتا بشـعرها الأبيض الناصـع ذي اللفائف المتعددة، لأنها كانت من النوع الذي يشـبه الخراف في فروته. . .

وكان شعرها مقصوصا على شكل يحاكى لبدة الأسد، أرسـلوه الى آخر الصـدر ثم حلقوا النصـف الباقي بالموسـى.. وكان في عنقها طوق أحمر يبدو احمراره بين الخصل المكدسة من تلك الفروة القطنية..

وكانت بلوتا في تلك اللحظة تمشى الهوينى في خيلاء وتيه كأنها تطلب منا أن نتأمل حسنها في أناة، أو ربما لم يكن في استطاعة المسكينة أن تمشى أسرع من ذلك لبدانة جسمها.. وقد سميت من أجل هذا بلوتا أي الكرة..

وألفت بلوتا عشرتنا في أقصر مدة، حتى كانت تضايقنا بهذه الألفة.. إذ لم يعد في استطاعتنا أن نذهب الى أي مكان بدونها. وكان في إحدى ضواحي برشلونة متنزه جميل تتوسطه بحيرة حفت بالأشجار الكثيفة الملتفة فكنا نقصد هذا المكان في أيام الصيف فنتغذى على ضفاف البحيرة، فكانت بلوتا ترافقنا الى هذا المكان.. بل كانت تتقدمنا إليه في المسير. فإذا ما شاهدت الماء جن جنونها فتلقي بنفسها في البحيرة وتظل تسبح طول النهار رائحة غادية في عظمة وأبهة كأنما هي مدرعة تختال فوق عباب الأطلنطي!

فإذا دعوناها الى الانصراف أبت مغادرة الماء، فكان لابد من الاحتيال عليها لإخراجها منه، وكانت أنجح الحيل معها أن نلوح إليها من الشاطئ بقطعة من السكر، لأنها كانت مولعة بأكله. فإذا خرجت لتلتهمه قبضنا عليها بسرعة!

لشد ما كانت بلوتا تعبد الماء!، إنها لتحملني على أن اصدق الرأي القائل بتقمص الأرواح! فليت شعري في أي نوع من السمك قد حلت روح بلوتا من قبل يا ترى؟

ألفت بلوتا كلاب الحي كذلك، حتى كان لها من بينهن العشاق الكثر.. لأن كلاب الأسبان ككلاب الشرق يملن أيضا الى الأجسام البضة!

وإذا كان لبلوتا (كما تقدم) شكل الأسد، فلم تكن لها أبدا شجاعته، فإنها كانت تولى الأدبار عندما يحتدم الشجار بين عشاقها (من أجلها) وتعود فتختبئ تحت سريري..

والأمر الغريب إن بلوتا كانت على علاقة حسنة حتى مع القطط! كانت مثال التسامح صادقة الإيمان بمبادئ لوكارنو السلمية!

ولما كانت بلوتا بدينة الجسم فقد عولت ذات يوم على أن أجرب على جسمها التمارين الرياضية لأخفف من شحمها المتكدس، فكنت في صباح كل يوم أطرحها على الأرض ثم اشد يديها الى الخلف، ورجليها الى الأمام.. مرارا عديدة.. حتى تئن المسكينة من التعب والالم، وكلما كان والدي يراني منهمكا في ذلك، كان يلومني على عملي صائحا، ما أقسى طبيعة الطفل! أما أنا فكنت أفعل هذا لأنتقم لنفسي على حساب بلوتا المسكينة، مما كنت أعانيه من الشدة في التمارين الرياضية بمدرستي من أستاذها الألماني

ولشد ما كانت بلوتا ذكية أيضا!

كانت لها حجرة نوم تحت السلم طولها متران في مثلهما عرضا.. وكانت الخادم تأتى كل ليلة الى الصالون حوالي الساعة العاشرة فتأخذها من بيننا لتذهب بها الى تلك الحجرة فتغطيها باللحاف، لأن ليالي برشلونة الشتوية قارسة البرد، فإذا أبطأت الخادم في بعض الليالي في الحضور، كانت بلوتا تذهب بنفسها الى حجرة نومها ثم تعود الى الصالون وفى فمها غطاؤها، وتظل منتظرة على هذه الحال حتى تحضر الخادمة فترافقها الى مضجعها!.

وكانت بلوتا تعبد الشكولاتة! واليك ما صنعته بي ذات مرة: كنت أنا أيضا أحب الشكولاتة.. فكنت اشتري منها كل يوم (لدى عودتي من المدرسة) بما قيمته عشرة قروش، لأن مرتبي لم يكن يسمح لي وقتئذ وا أسفاه أن أشتري بأكثر من هذه القيمة.. وكنت آكلها سراً حتى لا يشاركني فيها أحد..

ولكن بلوتا بذكائها الفطري العجيب كانت تدرك الأمر فتقف أمامي حينما تعرف إن القرطاس بجيبي، ولا تبرح مكانها حتى أناولها قطعة منه.. ففي ذات يوم كنت جالسا الى مكتبي، عاكفا على دراستي ولم أعطها في تلك المرة حصتها من الشكولاتة، فلم يكن منها إلا أن دست يدها خلسة في جيبي فسرقت القرطاس وذهبت دون أن اشعر، فلما وضعت يدي في جيبي لأخرج قطعة من القرطاس لم أجده، ولكنني عرفت في الحال من هو السارق، فأسرعت الى السرير حيث اعتادت بلوتا أن تختبئ لأنقذ ما يمكن إنقاذه، فوجدتها ويا للأسف قد التهمته كله!.. وكانت الشكولاتة قد لوثت ذقنها.. لقد غاظتني في ذلك اليوم لأنه كان يوم عطلة ولم يكن في استطاعتي أن اشتري قرطاسا آخر.. فلما انتهت الحرب الكبرى، وسمح لنا بالعودة الى مصر، أردنا أن نتعجل الرجوع الى الوطن المحبوب فاجمعنا الرأي على أن نركب أول باخرة تغادر أوربا، لذلك قصدنا البندقية لنلحق بباخرة إيطالية كانت تتأهب للسفر بعد أيام قلائل، ولما كان السفر طويلا شاقا على السكة الحديدية من برشلونة الى البندقية، فقد تركنا بلوتو عند بعض الأصدقاء في برشلونة ليرسلها إلينا في مصر على الباخرة التي تسافر من برشلونة مباشرة الى بور سعيد بعد شهر من ذلك التاريخ، وما كان أسعدنا وأسرنا حين جاءتنا برقية تنبئنا بوصول بلوتا الى بور سعيد!. هرع في مساء ذلك اليوم الى محطة القاهرة والدي وأخي وأنا لاستقبالها.. فلما وصل القطار إذا بنا نجد بلوتا سوداء اللون كأنها أحد عمال المناجم، لأن المسكينة قطعت المرحلة ما بين بور سعيد والقاهرة في عربة الفحم!.

عرفتنا بلوتو في الحال.. وكم كان سرورها عظيما! فكانت تارة تقبل أيدينا وطورا تجذب أرديتنا، ومرة أخرى تقفز في الهواء، على رغم بدانتها.. أما ركاب القطار فكانوا

ينظرون إليها دهشـــين.. ولما عدنا بها الى المنزل اســتطاعت بلوتا بقوة شـــمها الحاد أن تعرف حجرة والدتي فقفزت الى سـريرها بفحمها وغبارها فأيقظتها، ولم تنج بلوتا في تلك الليلة من عقاب محتم إلا لفرط اشتياقنا إليها بعد غيبتها الطويلة!

ولكن مسـرات هذا العالم وا أسـفاه قصـيرة المدى! كما يقول سرفانتس.. فانه لم تمض على بلوتا أشهر قليلة في مصر حتى مرضت مرضا شديدا اضطرنا الى قتلها كي تستريح مما كانت تكابد من عذاب وألم ثم دفناها بالحديقة تحت الشـــجرة الكبيرة بالقرب من الســور الخلفي.. ثم حفرت اســمها وتاريخ ميلادها ووفاتها على شـــاهد من المرمر نصـــبته على قبرها. ومالك تستكثر على بلوتا الوفية الذكية هذا الإكرام وفى الكلاب ناس كما في الناس كلاب؟

ابن فرعون يتعلم

كان الأمير الصـــغير (مري آمون) ولي عهد فرعون (ولم تكن سـنه تربو على العاشـرة) يتلقى دروسـه الدينية في حجرتـه.. وكـان معلمـه الكـاهن الكبير (حوتيب) يشـــرح لـه الأسـرار السـماوية العميقة في أوراق البردي المنثورة أمامه.. وكانت لحية الكاهن الطويلة تروح وتغدو في الفضـــاء كلما تكلم، كأنها الآلة الكهربائية التي تمســـح زجاج الســـيارة أمام السائق في أيام المطر حتى لا يحجب عن نظره الطريق.

كان الكاهن يقص على الأمير كيف تكون العالم وكيف خلق الإله رع هذا الفضاء، ثم الأرض، ثم السماء، ثم النيل، ثم التربة الخصـــبة، ولكن مري آمون كان يســتمع إلى معلمه في ســآمة وضــجر، ويود لو شــارك الأطفال الذين شــاهدهم من النافذة يمرحون في الحقول طلقاء ســعداء في مرحهم ولهوهم، بينما هو يقضـــي العمر ســـجينا بين جدران أربعة! فاذا ذكر الكاهن جهنم وأخذ يصــف الشــياطين المكلفين فيها بعذاب من أذنب في الحياة الدنيا، أحس مري آمون برعدة تســـري في جسـمه الضـئيل.. وكان الكاهن يرمقه بابتسـامة صـفراء كأنه مغتبط لخوف الأمير.. كم ود مري آمون في تلـك اللحظـة لو دق عنق معلمه!.

وفي أثناء ذلك، ازداد ضـــجيج الأطفال في الخارج، فنظر الأمير إليهم مرة أخرى من النـافذة، فـإذا بهم يطـاردون جحشـاً فر من صـاحبه.. عندئذ اسـتولت الحماسـة على قلب الأمير، واشتدت به الرغبة في الانضـمام إلى أولئك الصـبيان، فصاح بمعلمه قائلا: سيدي أرجو منك أن تدعني أهب لمساعدة

هؤلاء الأطفال في القبض على الجحش الهارب.. فكان جواب الكاهن أن غلق النافذة واستمر في القراءة كأن لم يقع شيء..

تقلب الأمير المسكين في سريره تلك الليلة، ولم تذق عينه النوم لأنه كان جد غضبان.. ولو نظر مري آمون وجهه في المرآة في ذلك الحين لشاهد تلك الحمرة الجميلة التي علت خدوده ذات الصفرة الذهبية من جراء انفعاله!.. حقا! لقد مل الأمير الحياة، وسئم استبداد معلمه! صحيح أن بالقصر أطفالا كثيرين من أبناء الأشراف يستطيع الأمير مشاركتهم في ألعابهم، ولكن هؤلاء لا يعاملونه معاملة الند للند بل يهابونه ولا يخاطبونه إلا في كلفة وحياء!.

رب كيف يتخلص الأمير من نير الكاهن حوتيب؟ انه طالما شكاه إلى فرعون والملكة في الأوقات القصيرة التي يسمح له فيها بمقابلتهما ولكن من غير جدوى.. فقد كانا يردانه دائما خائبا كأنه ارتكب جرما.. لم لا يرفع الأمر إلى الآلهة الفخام وهم من أقاربه كما يزعمون؟ ولكن هؤلاء هل يعينونه؟ انه يشك في ذلك، انظر إلى صورهم المخيفة!. ذاك (سوبك) إله الماء، له صورة التمساح الذي يخطف الأطفال على ضفاف النهر، وذلك (أنوبيس) في شكل الذئب وقد أكل في العام الماضي غزال الأمير المحبوب.. وتلك (هاتور) على هيئة بقرة، فهي لا شك بلهاء لا تستطيع نصرته.. إذن من يخف منهم لنجدته؟ ايزيس؟ أجل! هي الأم البرة. كم مرة سكب الأمير دموع الرحمة والحنان إزاء تمثالها وهي جالسة تضم إلى صدرها ولدها المحبوب هوروس! وفي تلك الليلة نفسها دعاها الأمير لنصرته فاستجيب دعاؤه! ربما تكون ايزيس بعيدة النظر في استجابتها دعاء الأمير؛ أليس مري آمون ولي عهد الملكة؟ لو آل إليه الملك بعد موت أبيه إذن سوف يتذكرها فيفضلها على سائر الآلهة ويبني لها شاهق القصور ويقيم لها

أعظم التماثيل، ويغدق عليها الهدايا والقرابين. واليك كيف استجابت دعاء الأمير:

لاحظ الأمير أن من عادة الكاهن ملازمة حجرته في كل احتفال ديني يقام بالقصـــر، فكثيرا ما بحث عنه الأمير بنظره في مكان الاحتفال فلم يجده فيه، بينما يحضـــر هذه الاحتفالات الملك والملكة والكهنة الآخرون، وجميع رجال القصـــر.. فكان مري آمون يتعجب من أمر معلمه ولا يفهم سبب احتجاب الرجل وتخلفه عن حضور مثل هذه الاحتفالات العظيمة.. وفي يوم عيد دفع الأمير حب الاســـتطلاع إلى أن يختبئ في حجرة الكاهن حتى يدرك الســـر، ففعل ذلك قبل وصول الكاهن إلى حجرته بقليل، وما كاد حوتيب يدخل ويغلق خلفه الباب حتى ضـــغط على زر في الحائط فانفتح فيه ثقب دخله الكاهن على الفور.. وقد أراد الأمير أن يتبع حوتيب في الثقب ولكنه أحس الخوف يتملكه، فعاد مهرولا إلى حجرته الخاصـــة.. وفي المرة الثانية تغلبت الرغبة على الخوف فاســـتطاع الأمير اتباع الكاهن داخل الثقب فاذا به في دهليز مظلم انتهى منه إلى مكان ضيق يقع خلف الحائط المستند إليه تمثال آمون الكبير القائم في قاعة الاحتفالات، وإذا بالكاهن يقف خلف التمثال المذكور ويتناول من الأرض بوقاً ثم يتكلم منه بصـــوت متغير مقلداً صـــوت التمثال، فيردد الألفاظ التي طالما سمعها الأمير في تلك الاحتفالات بنصها، وكان يظن هو وسائر الحاضرين بطبيعة الحال، إنها صادرة عن الإله.. حقاً! إن دهشـــة الأمير كانت عظيمة بمقدار خوفه، لذلك هرول مسرعا إلى الخارج.. ولكن قلبه كان يفيض سرورا لاكتشافه العظيم الذي سوف يشتريه منه الكاهن بثمن غال.. وفي اليوم التالي انتهز الأمير فرصـــة غياب الكاهن عن القصـــر فقصـــد حجرته، وهناك ضـــغط الزر ثم دخل في الثقب وعاد منه

بالبوق.. بعد ذلك، عندما أزفت ســـاعة الدرس واقبل المعلم يتهادى في رزانته المعتادة، دنا الأمير منه قائلا:

ســـيدي أظن أنك فقدت هذا البوق في الثقب! عندئذ أحمر وجه الكاهن حتى عاد (كالطماطم) ثم مد يده ليأخذ البوق صائحا في غضب: أعطني هذا البوق!

ولكن الأمير وضــع يده خلف ظهره وقال في ابتســامة الظافر: سوف افعل يا سيدي إذا أذنت لي في اللعب حيث أشاء ومع من اختار من الرفاق.. فتردد الكاهن ملياً ثم قال في يأس، وهو يطأطئ رأسه: لك يا بني ما تريد!.

زنبل

إذا كان المسيو هريو الوزير الفرنسي الكبير قد أبدى لدى عودته من موسكو إعجاباً شديداً بروسيا الشيوعية في أحاديثه إلى مندوبي الصحف، فأنني أعرف كائنا ما كان ليشاركه في إعجابه لو كان حياً، وهذا الكائن هو قطتنا زنبل، لأن زنبل كانت أرستقراطية بحقيقة معنى الكلمة، ويحسبها نبلا أنها من مخدرات قصر يلدز.. وإني محدثك كيف آلت إلينا: كنا في الأستانة بعد خلع السلطان عبد الحميد، وكان أثاث القصر يباع يومئذ بالمزاد العلني، فذهبنا نشاهد ما عرض من طرائف التحف ونفائس الكنوز لأن شهرة يلدز بهذه العجائب لا تقل عند الناس عن شهرة مغارة (علي بابا) في ألف ليلة ذهبنا إلى القصر على غير نية الشراء لأن والدي كان يعارض في ابتياع شيء من يلدز احتراماً لذكرى عاهلها المخلوع. وكان يجله ويرى فيه رمزاً لمجد الإمبراطورية العثمانية التي بدأ ظلها يتقلص فعلاً بعد سقوطه، ولكن ما كادت أبصارنا تقع على زنبل القطة الأنقرية الجميلة حتى وقفت لا تريم عنها انصرافاً.. وانقسمنا فريقين فريقاً من الصغار (نحن) يتمسك بالشراء، وفريقاً من الكبار يعارض فيه، وانتهى الخلاف طبعاً بانتصارنا، إذ كان لابد من إنقاذ زنبل من الحالة المهينة التي كانت عليها في تلك الساعة، فقد وضعت في قفص ضيق حقير ليشاهدها الرائحون والغادون.. فدفعنا الثمن خمسة جنيهات وحملناها معنا.. أما طرائف القصر الأخرى فكانت عادية لا تزيد على نظائرها في سائر القصور الملكية.

ما زلت أذكر زنبل خلال ضباب الماضي البعيد، وهي جالسة على مقعد من القطيفة في الصالون الصغير بمنزلنا

القديم بالمطرية، ترتل أناشيدها في هدوء وطمأنينة.. وكم كان شعر زنبل جميلا يحاكي بياضه الناصع الثلج الذي يجلل جبال الأناضول وطنها العظيم، وكانت نعومة شعرها أشبه شيء بنعومة الزنبق.

أما عيناها فكانتا تعكسان ما تشاهده على ضفاف البوسفور من خضرة زمردية بديعة..

وكان لحم كفيها ناعماً طرياً إلى حد إننا كنا نجد لذة في القبض على تلك الأكف الظريفة..

كان صيد الفئران والصراصير من الأمور الحقيرة التي لا تتعرض لها زنبل، كما تفعل ذلك القطط الأخرى..

لأن تسلية زنبل الوحيدة كانت أن تسحب أمامها خيطاً فتجتهد هي أن تقفه بضربات يدها الصغيرة.. وطالما جررنا لها ذيلها لنوهمها انه خيط عادي فكانت المسكينة تصدق ذلك فتوسعه ضرباً..

وفي ذات يوم وقعت حادثة أدهشت من بالمنزل جميعاً وهي أن زنبل حامل! رباه! كيف زلت زنبل الأرستقراطية؟ كيف خالطت زنبل قطط الحي وهي كلها قطط عادية شعبية لا تمت لأنقرة بنسب؟ ولكن زنبل وكأنها شعرت بالخطيئة الكبيرة التي ارتكبتها ما كادت تضع حملها حتى هجرت صغارها، فاضطررنا أن نغذى هؤلاء الصغار تغذية صناعية. كانت زنبل على حق في هجر أطفالها لأن هؤلاء الصغار كن من الصعاليك لا يليق أبداً أن ينسبن إليها..!

بعد مرور عامين على هذا الحادث، وعودة زنبل إلى حياتها الأولى الهادئة، عزمنا على قضاء بضعة أشهر في الخارج، فعهدنا إلى أحد الخدم برعاية زنبل، والعناية بوجه

خاص بغذائها، وهو دجاجة مســـلوقة كل يوم، وكانت زنبل لا تأكل منها إلا اللحم.

. . . ولكن لدى عودتنا من أوربا فوجئنا بخبر وفاة زنبل، على أثر مرض لم يمهلهما طويلا.. كما قال الخادم المكلف بخدمتها.. أما الحقيقة التي عرفناها بعد، فهي أن ذلك الخادم الخبيث كان يأكل دجاجة زنبل ويعطيها عظمها فترفضه زنبل.. وهكذا فقدت حياتها، ولكن في كرامة وأباء! كما يفعل الأرستقراطيون الأصلاء. . .

سنشيتا الأسبانية

(سنشيتا) الأسبانية بطلة القصة حسناء تبيع برتقالا على عربة، يعاونها في عملها (بدرو)، وليس هو البطل الآخر للقصة وإنما هو شقيقها، وهو صبي لم يعد العاشرة، أما البطل الحقيقي فهو الشاب (خوان) خاطب (سنشيتا)، وهو صياد بارع يضارع في قوته (نبتون) إله البحر، ولكنه جميل الوجه.. أما أقارب (سنشيتا) فلم يعش منهم غير (بدرو) وغير الأم التي تقوم على إدارة المنزل. وكانت (سنشيتا) في آخر النهار إذا ما فرغت من البيع تدفع العربة أمامها في طريق الدار، يعاونها في ذلك (بدرو) و (خوان). وكانت هذه المهمة تستغرق وقتا طويلا على قرب البيت، لأن ذلك الطريق القصير كان يقطع في مغازلة مستمرة بين الخطيبين، فتارة يقارن (خوان) ما بين البرتقال وخد الفتاة في الحمرة والنضرة، وطورا تكون ابتسامة رقيقة ذات معان تبعثها (سنشيتا) إلى (خوان).. ومرة ثالثة، ملاحظة وقحة من (بدرو) الصبي على أعمال العشيقين، تثير غضب الفتاة، ولو في الظاهر..

وقد خطب (خوان) الفتاة منذ ثلاث سنين، والخطوبات الطويلة المدى من العادات المألوفة عند الأسبانيين..

اتفق المحبان على الزواج لدى عودة (خوان) من رحلة يزمعها بعد أيام قلائل إلى بعض الجزر النائية حيث يكثر السمك، وكانت نية الفتى أن ينقطع عن عمله مدة بعد عودته من تلك الرحلة التي سوف تعود عليه بالربح الوفير، يقضيها إلى جانب زوجه المحبوبة في هناء وسعادة..

أزف الرحيل وكان يوما قاتما، كأن الطبيعة تشـــارك الخطيبين الحزن، وبكرت الفتاة في الذهاب برفقة شـــقيقها إلى المركب الشـــراعي الذي يبحر عليه خطيبها، وهو مركب قديم يندر وجوده الآن إلا في أشرطة السينما عن القرصان، وكانت الفتاة تحمل سـفطا ممتلئا بالبرتقال أخذت توزعه على (خوان) ورفاقه، أقلع الشـــراع ولم تكن إلا هنيهة حتى غاب عن نظر (سنشيتا) الحاد..

صـارت الفتاة تتردد في غيبة خطيبها إلى غابة منعزلة كان يقصـــدانها أحيانا أيام العطلة، فتبث شـكواها إلى أشـجار الصنوبر، وتعيد على سمعها في صوت عال وسط هذه العزلة التامة، تلك الكلمات الرقيقة التي كانت تســـمعها من (خوان)، وأحيانا ولا سـيما في الليل كانت تخرج إلى الشـاطئ لتشـاهد الأنوار العديدة الخافتة المنبعثة على صـــفحة الماء من زوارق الصـــيد التي تروح وتغدو على مقربـة. وفيما هي تعود إلى المنزل بعد جولـة من تلك الجولات الليليـة وجدت شـــقيقها (بدرو) جالسـا إلى المائدة يطالع في شـغف كتابا مصـورا، فلما رآها التفت إليها قائلا: (سنشيتا يحسن إلا تتركي خطيبك يتنقل في البحـار لأنهم يقولون إن حور البحر يخطفن البحـارين الحســان!) فابتســمت الفتاة لهذا القول وقبلت أخاها قبلة طويلة في جبهته. وفي ذات يوم دقت الأجراس في القرية على غير عادة، فعجبت لذلك (ســـنشـــيتا) وكانت إذ ذاك في حجرتها منهمكة في ارتداء ثيابها لتخرج إلى السـوق.. رباه! لماذا تقرع الأجراس، وليس اليوم من أيـام الأعيـاد؟ وإذا (بـدرو) يـدخـل عليها الحجرة بغتة هاشا مسرورا فينبئها بالخبر العظيم.. بعودة (خوان)، وبـأن هـذه الأجراس إنمـا تقرع تحيـة لـه ولرفـاقـه الصـيادين الذين عادوا من رحلتهم الطويلة.. خرجت الفتاة إلى الشـــاطئ وأراد (بدرو) أن يرافقها إليه، ولكن الأم احتجزته

معها في المنزل ليســـاعدها في تنســـيق مائدة الطعام إكراما للخطيب المحبوب..

بلغت الفتاة الشـاطئ فوجدت السفن راسية والصـيادين يعـانقون أهليهم وذويهم، ولكن.. (خوان)!.. أين (خوان)؟ أين (خوان) الجميـل؟ خوان لم يؤب فقد ابتلعتـه الأمواج في ليـل عـاصـــف، وهو في طريق العودة إلى الوطن.. ثم دنـا أحـد الصيادين من (سنشيتا) قائلا: (انتظري سنشيتا سأعطيك نقود خطيبك التعس).. ولكن (سنشيتا) لم تنتظر بل قفلت راجعة إلى المنزل.. وعندما بلغت عتبة الدار وجدت شقيقها (بدرو) ينتظر متطلعا، ثم ســألها في لهفة:.. (ولكن أين خطيبك؟) فأجابته في هدوء: (لقد احتفظت حور الماء بحارنا الجميل يا بدرو)!

في طريق المنفى

هي ذكرى مؤلمة من ذكريات الصبي حدثت في بداية الحرب العالمية.

عند مغادرتنا محطة القاهرة في طريق المنفى، جاء أقاربنا يودعوننا وكانوا يعتقدون أن الحرب سوف تنتهي قريبا لأن الفيالق الألمانية المظفرة كانت وقتئذ عل أبواب باريس، فكان من المفروض أن فرنسا سوف تضطر إلى التسليم، وعلى هذا نرجع من المنفى بعد أشهر قليلة، ولكن أخطأ مع الأسف هذا الحساب لأننا بقينا في الخارج خمس سنوات، كما أن بعض هؤلاء الأقارب الأعزاء أدركتهم المنية قبل عودتنا إلى الوطن. قصدنا بعد ذلك السويس حيث ركبنا سفينة أسبانية قادمة من جزر الفلبين، وتقصد برشلونة (أسبانيا)، ولم تكن السفينة متينة ولا كبيرة، ولكن لم يكن لنا وقتئذ الخيار في ركوب سفينة أخرى وقديما قالوا ان المضطر يركب الصعب من الأمور وهو عالم بركوبه، وفوق هذا لم تشفق أمواج المحيطات الهندية على هذه السفينة في طريقها إلى السويس، فخلفتها في حالة سيئة.

انقضت الأيام من الرحلة في هدوء تام، وقد تعرفت أسرتي بمعظم المسافرين وأغلبهم أسر ألمانية ونمساوية اعتقل رجالها في مصر. وكم كان محزناً حال هذه الأسر وهي مدفوعة إلى مصير مبهم مجهول بلا مال ولا نصير! ولولا أمل هؤلاء القوم في النصر لما استطاعوا أن يصبروا على ما كانوا فيه من بؤس وشقاء.

أما أنا فقد تعرفت على الفور (قبل أقاربي) بالركاب الذين هم من ســـني، لأن الديمقراطية الحق هي التي تســـود علاقات الأطفال

وكنـا - هؤلاء الأطفـال - وأنـا - بطبيعـة الحـال غير شـــاعرين بالمأســـاة الكبيرة التي تمثل على مســـرح العالم، بل العكس كانت فرصـــة لنا لنمثل معارك كالتي كانت ناشـبة بين الألمان وخصومهم

ولكننا كنا نجد بصـعوبة من يرضـى منا ان يقوم بدور العدو لأن هذه الوقائع كانت دائما تنتهي بفوز ألمانيا، وبضرب الجنود المفروض أنهم أعداء ضـــربا مبرحا. وكان معنا على ظهر السفينة قسيس ألماني منفي من مصر، وكان يلومنا على عملنـا ويـدعونـا إلى المحبـة والوئـام، ولكن لعمري هل كـان الكبار وقتئذ ينصـــتون إلى مثل هذا القول حتى ينصـــت إليه الصغار؟

وكان على ظهر السـفينة - غير هذه الأسـر الألمانية - عشيقان أسبانيان قادمان من الفلبين، وكانت حالهما أشبه بحالنا - معشـــر الأطفال - في عدم الاكتراث بما يقع في الدنيا من حوادث جسـام، إذ كانا يقضـيان الأيام في غزل متواصـل، كان لهما على ظهر السفينة كرسيان طويلان متلاصـقان، فكنت إذا مررت أمامها قطعا الغزل، فإذا انصـرفت اسـتأنفاه، فأغضـبني هذا التصـرف منهما، وأقسمت أن أفاجئهما متلبسين بالجريمة، من اجل هذا وضعت كرسي بالقرب منهما ثم اضطجعت عليه، وغطيت وجهي بشـــال من الصـــوف متظاهراً بالنوم، فلما أســتأنف العاشــقان الغزل فزعت من مقعدي فجأة وضــحكت ضـــحكة عالية لأنني كنت أرقبهما من ثقب صـــغير أحدثته بأسناني في الشال!

ثم كان هناك راكب اختل عقله من طول السفر، إذ مضى عليه أربعون يوما وهو في السفينة، وكانوا يسمحون له بالنزهة على ظهر المركب في حراسة بحار حتى لا يلقي بنفسه في اليم، ولكن جنون هذا المجنون كان من حسن حظنا هادئا. وكان بعضهم يزعم أن مثل هذا الجنون وقتي يذهب لدى نزول صاحبه على الأرض. ثم كانت معنا في السفينة شحنة من الثيران مرسلة إلى أسبانيا ليمثل بها - المسكينة - (في الكوريداس)، ولكن قبل وصولنا إلى برشلونة بيوم، هبت عاصفة شديدة لم أذكر أني شاهدت في حياتي مثلها، فكانت أمواجها الصاخبة تهاجمنا، وكأنها في بأسها قبائل الهون المتوحشة، وكانت تصيح أثناء الهجوم صياحا شديدا، فإذا كان غرضها إذ ذاك أن ترعبنا فأنها أدركت حقاً بغيتها، إذ كانت حالنا جميعاً سيئة جداً كما أن أضلاع سفينتنا كانت تئن من جراء هذه الصدمات أنين الشيخ الهرم عند أزمة (لومباجو) حادة. . . وقد أمر القبطان بإلقاء الثيران في البحر حتى يخفف عبء المركب، ولا زلت أذكر ذلك المنظر البشع برغم عهده البعيد! كان يلقى بالثيران الواحد تلو الآخر وهي تصرخ كأنها تشهد السماء على جبروت الإنسان!

وقد أخرتنا هذه الزوبعة - التي ما زالت إلى اليوم أعجب من نجاتنا منها - يوما كاملاً عن ميعاد الوصول..

ولما بلغنا في النهاية برشلونة، وتراءت لنا المدينة عن بعد، لم يكن فرحنا إذ ذاك يقل عن فرح (كرستوف كولومب) حين شاهد (سان سلفادور).. وقبل أن ينزل إلى البر، اقترب مني أحد أصدقائي الصغار، وهمس في إذني قائلا: أتعلم لماذا نجونا من العاصفة؟ ان القسيس كان يصلي من أجلنا طول الليل. فلما نقلت هذا الحديث إلى والدي ابتسم وقال: بل هي دعوات جدتك يا بني!.. أما أنا فأرى ان العناية لم تشأ ان

يموت هذا الشـــاعر قبل أن يتم رســـالته، ويغني على قيثارته حضارة العرب الفخمة بالأندلس!

أمير النوبة

عاد أمير النوبة إلى (نباتا) بعد أن قضـــى ســـنوات طويلة في مصـــر، على زعم أنه يتلقى الدروس بجامعة (عين شمس) الدينية العظيمة، ولكن الواقع هو أنه قضاها في مغازلة وصيفات الإله (رع) الحسان، وما كاد الأمير يرجع إلى وطنه حتى شـعر بحنين شـديد إلى مصـر، وطنه الثاني، فتذكر في حسـرة شـوارع منفيس الواسـعة، وحوانيتها الفخمة، وبائعاتها الرشيقات، ومراقصها.. أما هنا في (نباتا) فكل شيء يضايقه: فقصر أبيه الملك لا يزيد شأناً على الأعشاش التي يقيمها بعض وجهاء المصـــريين - في المصـــايف - على شـــاطئ البحر، والنســـاء كلهن بـدينـات متزينـات بـالريش والودع، دميمـات المنظر مثل (سـحمت) الإله المصـري الذي يلتهم المذنبين في العالم الثاني.. أما أصـدقاؤه من النوبيين فكلهم خشـن الطباع، يلتهمون الطعام بأيديهم في وحشـــة وقذارة.. إنه يؤثر عليهم العزلة ليخلو إلى خياله فيتذكر أصـدقاءه المصـريين المرحين في (عين شمس) الذين قضـى معهم أياماً سـعيدة في قصـورهم الشـامخة على ضـفاف النيل. ما أبهج تلك الليالي التي قضـاها معهم في احتساء (الجعة) اللذيذة المخصصة لقرابين الإله رع، والتي كـانوا يحصـــلون عليهـا خفيـة!. أمـا النوبيون فكـانوا لا يميلون اليه، بل كانوا يســخرون من عاداته التي اكتســبها من مصر، ويرمونه بالخنوثة..

حقاً! إن آلام الأمير النفسـية كانت شـديدة، خصـوصـاً وهو لم ينس قط (تايا) الحسـناء بنت معلمه الكاهن (منتو)، كم ود أن تصـــحبه هذه الفتاة إلى (نباتا)، ولكن ماذا يعمل أمام

رفض والدها الكاهن وهو رجل يحافظ على التقاليد. لم يرض أن تتزوج ابنته من أجنبي دنس في نظر الدين..

وبينما هو ســـابح في هذه الأحلام، يذكر هذه المناظر المصرية خلال الدخان المتصاعد من (غليونه)، إذا بأبيه الملك يدخل عليه فجأة فيقول:

ولدي! أتحب أن تعود إلى مصر؟

فأجاب الأمير وقد تهلل وجهه:

ما أشد سروري بذلك يا أبت! هذه غاية مناي

الملك - ولكنك ستعود هذه المرة طالباً ملكهم لا علمهم!

فسـتقود الجند الذين سـيزحفون على مصـر في الغد، لأن الوقت مناسـب لهذا الهجوم، أما أنا فصـحتي لا تسـمح لي بالسـفر، أنظر إلى سـاقي، إن ورمهما يزداد كل يوم.. هذا بلا شـــك أهر لســـحر تلك الجارية التي طردتها في الأســـبوع الماضـــي، آه من الســـحر! كان يجب أن أدق عنقها بدلاً من أن أطردها، ومع ذلك فأنت تعرف مصـر جيداً، ولا بد أنك مغتبط بهذه المهمة..

قال الأمير (في غضـــب) - كلا يا والدي! لا أريد أن أذهب إلى مصر جلاداً..

فصـــاح الملك متعجباً ماذا تقول يا ولدي؟ من علمك هذه الترهات؟

إني آمرك بذلك. أفهمت؟

قال الأمير - إني آســـف يا والدي إذ لا أســـتطيع أن أرافق جيشك في هذه الغزوة!

فصـــاح به الملك - (في غضـــب) - إني آمرك حقاً لقد أخطأت في إرســـالك إلى مصـــر لتتعلم، إن القوم مهرة في علم السحر، فهم قد سحروك..

الأمير - أجل! إنهم سحروني بحضارتهم!

الملك - (يضحك بصوت عال) - حضارتهم! أين هي؟ أتســـمي حضـــارة هذا (الغليون) الذي يكتم أنفاســـي بدخانه؟

الأمير - ولكن يا أبت ما الفائدة التي نجنيها من هذه الحرب؟ إن المصريين أقوياء وجيشهم مجهز بأحدث الأسلحة..

الملك - ولكنهم منقسمون، يحارب بعضهم بعضاً، إنها فرصة ثمينة لغزوهم الآن..

الأمير - ولكن ألا تخشى غضب آلهتهم العظام؟

الملك - (يضـــحك) - ليســـت آلهتهم إلا ضـــفادع المســـتنقعات وقطط الحيطـان.. (ثم قـال في جـد) كفى الآن مزاحاً، اذهب! فارصد أهبتك للرحيل

الأمير - لن أذهب يا أبت!

الملك - (محتداً) - بل ستذهب أنها الولد العاق!

غادر الملك الحجرة فشـعر الأمير بعد أن هدأت ثورته بحزن عميق، لأنه لا يســـتطيع بحال أن يحارب المصـــريين الذين تعلم في ديارهم، وتثقف بثقافتهم، واتخذ من بينهم أصدقاء كثيرين.. انه لا يسـتطيع أن يتصـور النـي مصـبوغاً بالدماء، ورياضـه وخمائله جرداء، وقصـوره تلتهمها النيران.. كلا! هم ان المصـــريين لم يعتدوا من جـانبهم على النوبـة حتى يكون

هناك مبرر لهذا الزحف، كلا! هذا أمر فظيع! إنه يؤثر عليه الموت..

ألقى الأمير بنفسه على السرير واخذ يبكي طويلاً، ثم نهض فتذكر قنينة السم التي أعطاها إياه معلمه الكاهن (منتو) عندما ذهب ليودعه يوم سفره، كما تذكر قول الكاهن وقتئذ:

(ولدي! إن في الحياة أوقاتاً يفضل الموت فيها، وأنتم معشر الملوك والأمراء معرضون لأخطار كثيرة كالأسر أو المنفى، ثم إن هذا السم لا يحدث ألماً وإنما يشعر شاربه كأنه في الفردوس..)

قصد الأمير دون تردد زاوية من الحجرة حنث كانت حقيبته التي صحبته في رحلاته إلى مصر، فنظر بعين ملؤها العطف إلى البطاقات الكثيرة التي تحملها الحقيبة من الفنادق الكبيرة في منفيس وطيبة والحجر، فأخرج منها قنينة السم ثم شربها جرعة واحدة وتطرح على السرير..

وفي صباح اليوم التالي خاء خادمه لإيقاظه من النوم كالعادة، ولكنه امتنع هذه المرة عن تأدية هذا الواجب لأن وجه سيده كان يفيض بشاشة، فلم يشأ أن يعكر عليه أحلامه اللذيذة..

حقاً! إن الكاهن (منتو) لم يكذب حين قال إن شارب سمه يحلم بالفردوس، ولكن الواقع أن روح الأمير كانت فعلاً في الفردوس، لأن الآلهة أرادوا مكافأته على تضحيته وإنقاذه مصر فردوسهم الثاني في هذه الأرض..

تعتزل الحب!

الكونتس (س) سيدة في العقد الخامس من عمرها، أما جنسيتها فلا تهم كثيرا لأنها غنية جدا، والمال جواز سفر دولي تستقبل به بالترحاب في كل مكان، إن الكونتس (س) وهي سيدة صالونات - تلم إلماما تاما بجميع اللغات الحية كأنها سكرتيرة ممتازة بعصبة الأمم.

توفي زوجها حديثا فحزنت عليه لأنه كان رجلا طيب القلب، وديعا مطيعا لها مثل كلبها الصيني الصغير (بيبي) وكانت فضلا عن ذلك تتخذه حجابا لستر غزواتها الغرامية الكثيرة، وكانت الكونتس نهمة في الحب، بل شيوعية، لا تبالي إن قضت ليلتها مع أمير من الأمراء أو مع سائق سيارتها، وتمضي الكونتس (س) زمنا طويلا في معاهد الجمال، لتصلح أولا فأول الآثار التي يحدثها الزمن في وجهها، ولكن هذه الآثار كانت تزداد يوما عن يوم حتى قلقت الكونتس على مصيرها، لما ينتظرها وراء ذلك من شيخوخة محتمة.. لذلك فكرت في اعتزال الحب، كما فعلت المحظية المصرية الشهيرة تاييس التي روى قصتها الكاتب العظيم اناطول فرانس، أجل! ستفعل الكونتس ما فعلته تاييس قبلها، وتقيم هي أيضا في كوخ بصحراء مصر النائية.

وفي صباح يوم من الأيام، وبعد أن شاهدت الكونتس في الليلة تمثيل تاييس بالأوبرا، قالت لوصيفتها ماري:

ماري، إنني صممت على أن اعتزل المجتمع. أعدي الأمتعة، سوف نرحل إلى مصر حيث نعيش في الصحراء في

عبادة وتقشـــف مثل تاييس المحظية المصـــرية التي أعجب بتضحيتها كل الإعجاب. . .!

فابتسـمت الوصـيفة ولم تجب، لأنها مقتنعة إن سـيدتها غير جادة في قولها، وإنها إذا ذهبت إلى مصـــر فإنما تذهب لتهرب من برد العواصم الأوروبية القارس، ثم عادت الكونتس فقالت:

حقا! إنني ســـئمت المجتمع وما فيه من خدع وخيبة أمل! ولا سيما بعد خيانة صديقي جان، الراقص بفندق (بلاس) آه! إنني كنت احبه حباً عميقاً، كما كنت مفتونة بشـبابه الغض، كيف استطاع أن يكذب علي وهو في مثل هذه السن الصغيرة؟

الوصيفة - ولم لا يكذب المرء وهو صغير في السن يا سيدتي! إنني كذبت في طفولتي أضـعاف أضـعاف كذبي الآن! كم ســـرقت الكرز من حديقة الجار، فإذا ســـألت عنه اتهمت الغربان!

الكونتس_هذا شـــيء آخر، هذه كذبة الطفولة البريئة، إني اقصد كذب الشباب، إن الشباب يصعب عليه في نظري إن يكذب، لأنه ليســـت في وجهه تجاعيد تســـتطيع أن تخفي الأكاذيب.

الوصيفة _وكيف عرفت خيانة السيد جان يا سيدتي!

الكونتس_من عشيقته نفسها!

الوصـيفة _عجبا! وما فائدة عشـيقته أن تفضـح أمر صديقها؟

الكونتس (مستضحكة) _لتنتقم يا بنيتي! إن الوغد كان يخونها مع عشيقة أخرى ثالثة!

ثم أعدت الوصيفة الأمتعة للسفر إلى مصر كمشيئة الكونتس، ولكن لشد ما كانت دهشتها حين قالت لها سيدتها لدى عودتها إلى المنزل ظهراً:

ماري! إننا لا نسافر إلى مصر، إنني أولم في الأسبوع القادم وليمة عشاء تكريما للمثال العبقري هنري دي. . . فابتسمت الوصيفة وقالت: وما سن هذا المثال العبقري يا سيدتي؟

الكونتس (في إعجاب) - خمسة وعشرون ربيعا!

ثم ضحكتا ضحكا عاليا على هذه الملاحظة، ولكن الوصيفة عادت فقالت في حسرة: يا للأسف على رحلة مصر إنها لن تتحقق! وقد كانت شديدة النفع لما اشعر به من ألم في المفاصل!

يوميد

ما كادت تلوح بالأفق خيوط النهار الفضـــية الأولى، حتى كنا انتبهنا من نومنا: ديقاي وأنا، وقد أزمعنا الذهاب لصيد البط في ضواحي الهرم، وكان كل منا يحمل بندقية ذات عيارين وعدداً كبيراً من الخرطوش، عدنا السيارة ونحن أشد بهجة من فصائل اسكندر المقدوني الفتية لدى زحفها على أسيا.

أما المدينة فكانت غارقة في النوم في تلك الســـاعة المبكرة ساكنة بأحقادها وشهواتها، ولم يكن أحد مستيقظاً، اللهم الا محرك سيارتنا.

ســـارت بنا الســـيارة في شـــارع الهرم، ولما بلغنا المســـتنقعات الواقعة في الجهة الغربية من طريق الهرم، غادرناها وركبنا زورق طلي بالطلاء الأسـود حتى لا نشـعر البط بوجودنا بالمســـتنقع، وكان موجوداً بكثرة على ســـطح الماء.. هل كان البط نائماً وقتئذ؟ لم يكن لدينا شـــك في ذلك برغم اعتراض دليلنا - وكان فتى قرويا - وذلك لسكونه سكوناً عجيباً..

ولكنا كنا مخطئين إذ لم نكد نقترب منه حتى انطلق في الجو. كأنه ســـهم ناري فأطلقنا عليه البنادق في الهواء ولكن بدون جدوى رغم عدده الكثير.. لقد ظهرنا في عيني دليلنا القروي يادين غير ماهرين، فانتزع بندقية أحدنا وأطلق طلقة واحدة أسقطت بطة في الحال!

وا أسفاه على الدروس التي تلقيتها في باي للصيد في الهواء! كنت أتمرن وقتئذ على البيض، يقذفون لي البيض في

الهواء فأطلق عليه بندقيتي فاذا أصيب البيض وهو ما كان يقع نادراً - سال فأمطرنا مطراً اصفر.

وبعد محاولات يائسة لصيد البط، غادرنا المستنقع إذ لم نجد سبيلاً إلى البط فهو شديد الفطنة..

كيف يدرك البط الخطر على مسافات بعيدة؟ إن شأنه شأن الحمام الزاجل الذي يعرف طريق الوطن على بعد مئات من الأميال. هل تكشف لنا الطبيعة يوماً عن مثل هذه الأسرار؟

قبل أن نغادر تركنا لدليلنا القروي البطة التي ادها هو، حتى لا تذكرنا فشلنا على الدوام..

هل كنا نعود وقتئذ إلى المنزل؟ لم يكن في استطاعتنا أن نفعل ذلك، إذ لوعدنا لصرنا سخرية للجميع.. ممن بعد ذلك على البحث عن طير يكون أقل فطنة من البط..

ها نحن أولاء نسير وسط الغيطان التي كسيت بساطا أخضر جميلاً من البرسيم.. وثم اعترضتنا ترعة لاجسر عليها للمرور، وكنا في حيرة من أمرنا حينما أقبل قروي وتطوع أن يحملنا على ظهره عبر الترعة. وقد مرت بهذه الطريقة، ومر أحدديقي. وأما الصديق الثالث وكان بديناً، فقد غرز هو وحامله في الطين، وبدلاً من أن يعمل على الخروج من الترعة، أخذ يضرب القروي المسكين!. ياله من منظر مضحك أنسانا فشلنا مع البط!

ثم أقبل قرويان آخران فقاما بعمليه النجدة.. بعد ذلك بلغنا مكانا مظللاً بالأشجار الكثيفة، حيث أخذت العصافير تزقزق جزلة مسرورة.. وقد شاهدنا على أحد الغصون يمامتين تتناجيان، كم كان منظرهما جميلاً، وقد طوق عنقاهما بطوق فاحم جميل، كما رصع منقاراهما بالياقوت..

ثم حدث ما كنت أخشـــى وقوعه، فقد اقترح ديقاي أن نصـــطادهما! لم يكن في طاقتي أن أطلق النار على هذين المخلوقين الجميلين، إنها حقا لوحشـــيه! لذلك رفضـــت، فقال أحدديقي ليقنعني: أطلق ولاتكن غبياً، لقد حللت لك الصـــيد قوانين الســـموات والأرض! فقلـت: ليكن، ولكن قلبي لا يطاوعني! ولما رآني ديقي مصـــمماً على الامتناع، أطلق هو عياراً

فأردى إحدى اليمامتين، سقطت وقد كسر جناحها، كما أن خرطوشـــة أخرى لا بد أنها اخترقت قلبها، لأن الدم كان يسيل من منقارها بغزارة.

ورغم وحشـــيتنا هذه. كانت عينا اليمامة ترمقاننا في حنان، كأنها قد غفرت لنا فعلنا كما غفر عيســـى من قبل لمضـــطهديه اليهود! يا للأســـف! إننا ما زلنا متوحشـــين نســـر لرؤية الدم! كم نحن بعيدون عن المثل العليا التي ينشـــدها أفلاطون!

ومن ذلك اليوم كرهت الصيد، فكل عام اجدد رخصتي دون أن أجدد رغبتي.

قصه لؤلؤة

ولدت في أعماق المحيط الهندي، وكنت أقيم هادئة مطمئنة في مقصورتي الصدفية، إلا أنني سئمت الحياة التي كنت اقضيها على نمط واحد، واشتقت إلى مشاهدة العالم الآخر القائم فوق سطح الماء الذي طالما حدثتنا عنة الأسماك في دهش وإعجاب، ولكن أخواتي من اللؤلؤ أشرن عليّ بالصبر، زاعمات أن الإنسان سوف ينزل إلى الأعماق لينتزعني من خلوتي، لأننا معشر اللؤلؤ - على زعمهن - ذوات قيمه نادرة عنده، وقد صدقن في زعمهن، إذ نزل إليها ذات يوم زنجي ليأخذني من صدفتي، إلا أن الحوت افترس المسكين، ثم حاول زنجي آخر بعد ذلك بقليل أن يفعل فعله سابقه، ولكنه لم يدركني، إذ كنت في عمق سحيق فمات مختنقاً. . بعد هذين الحادثين لم يبق لدى شك في قيمتي بعد هذين الحدثين لم يبق لدى شك في قيمتي عند الإنسان، وأنا خاملة الذكر في البحر، لذلك ازداد شوقي إلى المشاهدة هذا العالم. . . ثم أتى زنجي ثالث مجدود استطاع أن يرفعني إلى سطح الماء، وهذا سلمني إلى رجل أبيض أخذ ينظر إلى في شره بعد أن انزع عني بسكينة الحاد صدفتي المسكينة!

وأراد زنجي رابع أن يسرقني من الرجل الأبيض، ولكن الأبيض داهمه أثناء السرقة فضربه بالسوط ضرباً مبرحاً مزق جلدة وأسال دمه.. يالخيبة أملي لو كان هذا هو كل ما يشاهد في دنيا الإنسان!.

سافرت بعد ذلك إلى لندن على متن باخرة فخمه. . وهناك قامت فتاة حس ناء بصقلي في دقه وأناة. . وبعد أن أنهت من عملها رفعتني بإصبعها، وأخذت تتأملي طويلا ثم

تنهدت من الأعماق. فخشـــيت عليها أن تفعل فعله الزنجي السـارق، لأن جلدها ناعم لا يتحمل السـوط. أما أنا فكان بودي أن أتعلق بجيدها البلوري أو أعلق بيدها الناعمة. . .

ثم أخذني جوهري فعرضـني في زجاج دكانه. . وكان المارة ينظرون إلى في إعجاب وفضـــول، وذلك ما أدخل على نفســـي الزهو. . والواقع أنني كنت جميلة حقاً بلوني الوردي الذابل، ولا ســيما بعد عملية الصـــقل التي قامت بها تلك الفتاة الحسـناء. وقد لاحظت أن أهالي لندن فضـوليون إلى حد بعيد، وقد يصـــح مثل هذا الفضـــول من جانبي أنا مثلاً إذ قضـــيت حياتي ســـجينة في صـــدفة. . أما من جانب الإنجليز فهو أمر مسـتغرب، وهم قوم رحل أفاقون. . وكان صـاحبي الجوهري في الغالب يهودياً، لان انفه كان مقوســاً، ثم إنه كلما وضـــعني في يده المجعدة، ضغط علي في قسوة وشره حتى كنت أخشى على نفســي الهلاك. وقد باعني ذات يوم إلى ســيدة متقدمة في الســـن بربح وافر على ما أظن، لأنه جعل يفرك يديه طويلاً عقب إتمام الصـــفقة، وكانت نية هذه الســـيدة أن تصـــنع مني خاتماً. إلا أن ولدها وهو طفل (عفريت) في السـابعة من عمره ابتلعني ظنا منه أني قطعة من الحلوى. فغشـي على السـيدة من الحزن، أكان ذلك من أجل ولدها أم من أجلي؟ لا أعلم، ولكني أرجح الثانية على الأخص بعد حادث الزنجيين اللذين ماتا في سبيلي. . .

وقد تنـاول الطفل مســـهلاً قويـاً أعـادني إلى الحيـاة والنور. . . ثم انتقلت إلى يد أخرى كلها مرتعشة مجعدة. .

رب! كيف نظم هذا الوجود؟ كيف يكون الجاه والغنى عند العجائز والدميمات فقط؟

ولكن من حســـن حظي وقعت في النهاية في يد فتاة أمريكية حســـناء مثرية جدا، أعطيت لها في شـــكل خاتم قدمه شاب خاطب، وكانت الفتاة سعيدة بي. . فكم من رحلات شيقة قمنا بها - نحن الثلاثة - على متن طيارتها الخاصـــة، إلا أنه اتضـــح للفتاة يوما أن هذا الشـــاب يخونها، وأنه لم يخطبها إلا طمعا منه في ثروتها، لذلك ثار ثائرها: فألقت بي في وجهه، وكان ذلك أمام الباب الخارجي للدار الواسعة، فتدحرجت حيث اختبأت في حفرة مظلمة بالحديقة أنتظر من ينقذني، وأرجو أن يكون ذلك على يد فتاة جميلة

قلب الشاعر

لما فرغ الآلهة من خلق العالم السفلي، دعوا إلى حضرتهم الشاعر الذي كان قد سئم الإقامة بجوارهم وقالوا له: (إن الحياة هنا كما نرى عابسة لا تسرك أيها الشاعر، إنك في حاجة إلى التسلية. . اذهب إلى العالم السفلي الذي فرغنا من خلقه عساك تسر بما تشاهد هنالك من مناظر وملاه، ولسوف تدهشك أخلاق الذين أسكناهم إياه. . إنما يجب أن نحذرك تعاطي مخدر يتناوله بنو البشر يدعى الحب، لأن هذا المخدر قتال وإن كان لذيذاً، وبخاصة لقلب شاعر رقيق. .)

انصرف الشاعر من حضرة الآلهة بعد أن سجد لهم شكراً على هذا العطف، ثم تناول مظلة ففتحها ثم هوى بها في الفضاء آخذاً طريقة إلى الأرض. . ما كاد شاعرنا يهبط حتى عرف أن البشر مقسمون إلى ثلاث طبقات: العظماء، والأوساط، والفقراء. . قصد الشاعر طبقة العظماء على ظن أن هذه الطبقة تجمع ولا شك خلاصة الناس وأرقاهم. . وهنالك وجد الشاعر قصوراً فخمة حليت جدرانها بالذهب وكسيت بالحرير، ولكن اشتدت دهشته حينما وجد حجرات هذه القصور قد انقلبت إلى معامل للدسائس يديرها الحقد، والطمع والغرور. . كما أنه شاهد في هذه القصور أناساً تبهر ثيابهم الأنظار بوشيها الفاخر العجيب، ولكن قلوبهم ويا للأسف! صيغت من النحاس. . أنصرف الشاعر عن هؤلاء العظماء وهو خانق لما شاهد فيهم من أخلاق لا تتفق ومثله العليا. . ثم قصد الطبقة الوسطى. . فوجد قوماً يجدون ويكدون في جمع المال، فإذا حصلوا عليه أخذوا يحاكون طبقة العظماء محاكاة القرد للإنسان. . عاف الشاعر هذا المنظر أيضا فانصرف إلى عالم

الفقراء عساه يجد في النهاية مثله العليا لدى هذه الطبقة القانعة المتواضعة. . فوجد الشاعر قلوبا تحاكي الماس صفاء، ولكن وجد بجانبها ويا للأسف! بؤساً وانحطاطاً وأموراً لا تتفق وروح الشاعر الأرستقراطية. .

ضاق الشاعر بالبشر ذرعاً فقصد الخلاء، فرأى فيه أودية ناضرة، وأنهاراً زاخرة، وزهوراً بهيجة الألوان، وبلابل تكاد تنفجر حناجرها الصغيرة من كثرة الألحان. . حقاً، كلها مناظر جميلة، ولكن أين هذه الطبيعة المتواضعة من حدائق الآلهة الغناء حيث كان مباحاً للشاعر النزهة والتروض في أي وقت شاء؟. . يئس الشاعر من العالم السفلي وكاد يعود إلى السماء، إلا أنه فكر في اللحظة الأخيرة في تناول مخدر الحب الذي حذرته منه الآلهة، لأن النفس تواقة بطبيعتها إلى استيعاب المحظور وكشف المستور

كان الشاعر كلما قصد صيدلية يسألها هذا المخدر شبعه أصحابها إما بالسخرية، وذلك إذا ظنوه مجنوناً، وإما بالغضب، وذلك إذا ظنوه عابثاً. . . ولما يئس من الحصول عليه، رجع إلى الخلاء فجلس هناك فوق ربوة في مكان تظلله شجرة صفصاف متهدلة الأغصان، وهو مطرق الرأس، فأطل عليه حينئذ زرزور فضولي من فوق غصن وقال: فيم تفكر أيها الشاعر الصديق؟ فقص عليه الشاعر قصته لعل هذا العصفور يهديه إلى ما يريد، فهو دائم الحركة والتنقل في حدائق البشر وحقولهم، فلا شك أنه يعرف عنهم أشياء كثيرة. . .

أغرب العصفور في الضحك من قول الشاعر حتى كاد يسقط من فوق غصنه وقال: تبحث عن الحب؟ هاكه! ثم أشار إلى مكان آخر من الربوة ظلله كذلك الشجر الكثيف،

فنظر الشـــاعر حيث أشـــار فوجد فتاة آية في الحســـن، تجلس وحدها تغزل الصـــوف. . أخذ الشـــاعر لجمالها الرائع وأدرك معنى الحب من نفسه حينما حل هذا الإكسير العجيب في قلبه.
.

ثم أخذ شـــاعرنا يتدفق في إنشـــاد الشـــعر فعجب من السهولة التي صار ينشده بها، ومن أن هذا الشعر أصبح أرق وأعذب من قبل. . ودهش من أمر هؤلاء الآلهة الذين يحرمون مثل هذا المخدر العجيب. .

ولما كانت الفتاة تختلف كل يوم إلى هذا المكان تقضي فيه ســـاعة أو ســـاعتين في غزل الصـــوف كان الشـــاعر يأتي لينظر إليها متأملا ملامح وجهها الفتانة في خشـــوع وإجلال، فإذا انصرفت أخذ ينشد هذه المحاسن في صوت جميل أيضاً، لأن أوتار صـــوته صـــارت ذات رنين كرنين الذهب من جراء الحب، حتى أن بلابل الوادي كانت تسـكت إذا مر بها الشـاعر لتصغي إلى قلب الشاعر وهو يبوح بأول حب له. .

ونقل الآلهة صـــوت الشـــاعر بواســـطة الراديو وأخذوا يستمعون إليه وأخذوا يستمعون إليه في سرور عظيم. .

ثم انقطعـت الفتـاة عن المجيء إلى الربوة، فـانقطع الشاعر عن الإنشاد. .

قلق الآلهة حينما انقطع إنشاد الشاعر، فأرسلوا رسولاً إلى الأرض يـأتيهم بـالخبر، وقـد خيـل إليهم لأول وهلـة أن الانقطاع نشأ عن عطب في محطة الإذاعة. . فعاد الرسول بعد قليل من الزمن يقول: إن المحطـة لم يصـــبهـا عطـب، وإنمـا العطب وا أسفاه أصاب قلب الشاعر فتمزق قطعاً تحت شجرة الصفصاف!

الصورة

قصة تمثيلية في فصل واحد بمنظرين

الأشخاص

الزوج. الزوجة. الحماة (أم الزوجة)

المكان: حجرة نوم الزوجة

المنظر الأول

الزوجة منهمكة في وضـــع حوائجها في الحقيبة، بينما أمها تجلس أمامها على كرســـي (فوتوي) تروح على نفســـها بمروحة

الأم - أصـــغي إلى يا ابنتي، بالله لا تهجري زوجك. إنك لن تجدي أفضل منه. صحيح أن فيه عيوباً مثل مغالاته في الشرب، أو تأخره في السهر، ولكن أين الزوج الكامل؟

الزوجة - هذه ليست عيوباً في نظري يا أماه، بالعكس إني أبغض الزوج الذي يقضـــي كل وقته في المنزل متعلقاً بأهداب زوجه. لا يعرف ما يحدث في الحياة خارج محيط البيت

الأم - إني لا أفهمك يا ابنتي. إذا هجرك زوجك غضـبت، وإن بقي بجانبك غضـبت أيضـاً، فماذا تريدين في النهاية؟ لماذا تهجرينه إذن؟

الزوجة - لأنه يكذب، والكذب أبغض الأمور لدي، فهو مرآة النفس الجبانة

الأم - ابنتي، تريثي. فكري ملياً في الأمر

الزوجة - أســف يا أماه. لا أســتطيع البقاء. . . آه من النذل! يخدعني أنا؟ ومع مَنْ؟ مع أعز صديقة لي!

الأم - ليس الذنب ذنبي يا ابنتي. . . المســئولة هي صديقتك العزيزة. أليست هي التي غازلته؟

الزوجة - أه منها الماكرة! كم تظاهرت لي بالوفاء! إنها كانت تشــاركني دموعي في أوقات أحزاني! (بعد لحظة) ولكن ما الذي حببها إليه يا ترى، وهي خلو من كل جمال؟ أعلق بأنفها المقوس مثل أنف الحاخام؟ أم اشــتهى شــفتيها الغليظتين كشفتي الزنجية؟

الأم - الآن فقط تجدينها دميمة!. . . وكنت إذا ذكرت لك هذه العيوب نفسها عارضتني قائلة: إن هذه العيوب تكسب صديقتك ما تسمونه أنتم يا شباب اليوم: الجاذبية الجنسية. . . . حقاً! ما أبعدكم عن إدراكُ مثل الجمال الحقيقية!. . .

الزوجة (في ضــحك) - يا أماه. . أمثالكن نســاء قبل الحرب، يرون الجمال عبارة عن غرائر من الشمم رُسمت لها حواجب وعيون وأفواه. . . . .

الأم (في غضــب) - وما أوقحكن أيضــاً يا بنات اليوم! (بعد لحظة) والآن لنعد إلى موضـوعنا. . بالله سـامحي زوجك يا ابنتي. . . . أنت تعرفين أنني لا أميل إليه كثيراً. . . . . ولن أنســى له هديته التافهة حينما عاد في الخريف الماضــي من روما. . . ولكن هذا لا يمنعني بصــفتي أمك التي تحب لك الخير أن أشــير عليك بالبقاء معه. . . ســامحيه، إن التســامح أفضل معاني الكرم. . .

الزوجة (في تهكم) - آسف يا أماه. . . لستُ قديسة لأتسامح. ولستُ أعيش في زمن المسيح، حتى إذا لطمني شخص على خذي الأيمن أدرت له الخد الأيسر. .

الأم - سامحيه يا ابنتي. . . إنها هفوة واحدة منه. . . (في حسرة) رب! كم سامحتُ أنا والدك عن هفوات لا هفوة!

الزوجة - لأنك كنت بلهاء يا أماه. . .

الأم - (في غضب) - حقاً! إنك وقحة! (بعد لحظة) كلا! يا ابنتي لم أكن بلهاء حينما سامحت والدك، غفر الله له! بل كنت على ثقة أنه سوف يمل حياة المغامرات التي كان يحياها، وانه سوف يدرك في النهاية أن السعادة الحقيقية للزوج هي داخل منزله. . . طبعاً تألمت كثيراً من أجل هذا، ولكنب ظفرت في النهاية. . . (بعد لحظة) ولو كنتُ هجرتُ والدك إذ ذاك، أكانت ترى الوجود هذه الفتاة الرشيقة الحسناء الماثلة أمامي اليوم؟. . .

الزوجة - (تترك جمع حوائجها فجأة وترتمي في أحضان أمها باكية) آه يا أماه، إنني أتألم. . .

الأم - إنك ما زلت تحبينه يا ابنتي. . . هذا هو الحب، هذا هو قلبك يحتج بدوره على هذا الخصام. .

الزوجة - أجل إني أحبه. . . ولكن كرامتي يا أماه، ماذا أصنع لها؟

الأم - ماذا تقولين؟ الكرامة؟ الحب يا ابنتي قبل كل شيء. . . الحب هو الحياة. . صدقي أمك العجوز المجربة. .

الزوجة (وكأنها عادت إلى نفسها) - كلا! لن أصفح عنه! لقد صممتُ على هجره. . . إن الضعف الذي أظهره الآن ليس خليقاً بفتاة مثلي شاهدت الحرب الكبرى

الأم (في غضـب) - ها قد عدت إلى جنونك! (تنهض) افعلي ما شـئت. . ولكن اعلمي جيداً أنك سـتندمين على عملك هذا. . . أما أنا فقد سئمتُ من إسداء النصح إليك. . .

(تخرج، فيـدخـل الزوج من بـاب آخر وبيـده بعض الأوراق

المنظر الثاني

الزوج - آسف لو كنتُ أزعجتك، ولكني أتيتُ لأرد لك بعض مستندات لك كانت محفوظة في الخزانة الحديدية. . .

الزوجة - (دون أن تلتفت إليه) حسـن. . أشـكرك. . . ضعها هناك. . . (تشير إلى مائدة بجوار السرير)

الزوج (في تردد) - هل صممتِ على الرحيل؟

الزوجة - أجلْ. . .

الزوج - هل نسيت كل شيء!: عهد خطوبتنا السعيد. . . نزهاتنا الطويلة في الخلاء. . . الورد الأحمر العجيب الذي كنتُ أقطفه لك خلسـةً من حديقة الجار البخيل. . . ثم شـهر العسـل في ربوع إيطاليا الجميلة. . ثم مقامنا في نابولي تحت أقدام بركـان (الفيزوف) المخيف. . . ثم نبيذ إكيا الذهبي. ثم موسـيقاها الشـجية. . ثم ليالي البندقية الشـعرية فوق مياهها السـاكنة. . . . . هل نسيت كل ذلك الماضـي البعيد القريب؟. . . . .

الزوجة (متململة) - ثم خيانتك. . . ثم كذبك. . . ثم. . . أرجوك دعني الآن أجمع حوائجي

الزوج - أنـت تعلمين أني أسـفتُ كثيراً على فعلتي الشنيعة. . . . عزيزتي. . . هلا صفحت عني؟

الزوجة - آسـف لا أسـتطيع. . (في هذه الأثناء تضـع خلسة صورة زوجها في الحقيبة فيراها)

الزوج - عزيزتي. . . هل تأذنين لي بأن أدخن سيجارة في هذه الحجرة الظريفة ونحن مجتمعان لآخر مرة؟ (ويجلس على معقد)

الزوجة (في تردد) - فليكن. . .

الزوج - عزيزتي. . . هل تأذنين لي في سؤال واحد؟

الزوجة - لست مستعدة الآن للإجابة على أسئلة، فإني أجمع حوائجي على عجل حتى لا يفوتني قطار المساء. . .

الزوج (ملحاً) - سؤال واحد فقط

الزوجة (متململة (- إذن قل ولكن اقتصد!

الزوج - هل أنت واثقة أنك لم تعودي تحبينني؟

الزوجة - أجل أنا واثقة من ذلك كل الثقة. .

الزوج - ألم يبق في قلبك شيء من العطف؟

الزوجة (مقاطعة) - لا لزوم لهذا الكلام. . . .

الزوج - هو سؤال واحد أريد الإجابة عليه. . . ألم يبق لـك شـــيء من العطف. . . . لا علي. . . . بـل على ذكرى الماضي؟. . .

الزوجة - لا

الزوج - لنستبدل إذن كلمة العطف ونعود إلى الحب

الزوجة - أبداً. .

الزوج - بل أنا أقرر أنك تشعرين نحوي بالحب!

الزوجة - لا، بل أمقتك!

الزوج - إن المقت والحب قريبان جداً، بل هما متصلان، فهما طرفان، والطرفان لابد أن يتماسا. . .

الزوجة - دع هذا الكلام. . . ألم تنته من سيجارتك؟

الزوج (مستمراً) - إن لدي شاهداً على صحة هذا القول. . . على صحة الحب. . وعبثاً تحاولين إنكاره. .

الزوجة - دعك من هذا الهراء!. . .

الزوج - (ضاحكاً) إن شاهدي هو في تلك الحقيبة. . هي الصورة التي خبئتها الآن خلسة. . لماذا تحملين صورتي معك إذا كنت لا تحبين صاحب الصورة؟

الزوجة (تخرج الصورة من الحقيبة فتلقى بها على المائدة) - إليكما خذها. . احتفظ بها. .

الزوج (يخف إلى زوجه فيطوقها بذراعيه) - عزيزتي، هذا إقرار منك بأنك ما زلت تحبينني. . . .

الزوجة (في ضعف) - ابتعد عني!. . .

الزوج - هل صفحت الآن!

الزوجة - (مستسلمة) - لا، أبداً، ربما أصفح أنا، ولكن هذا (تشير إلى ناحية القلب) هل يصفح؟

الزوج (ضاحكاً) - هذا؟ لقد سامحني منذ هنيهة حينما حرضك على اغتصاب الصورة!

(ستار)

إبليس يعشق

كان إبليس يقيم في مصـــيف (دوفيل)، ولم تمض أيام معدودة على قدومـه إليها حتى كـان من أثر وجوده بهـا عدة حوادث انتحار، وقعت بين رواد قاعتي (الروليت) و (البكارا). .

ولكن هبطت عليه ذات يوم برقية من مجلس الشياطين الأعلى المنعقد في (بروكن) تعدوه الى الذهاب من فروه إلى قرية س. . . في جبال الألب ليقضـي هناك على أسرة صـغيرة تعيش في سـرور وهناء لا حد لهما، لأن الشـياطين كما تعلم لا يطيقون رؤية بني البشـر سـعداء. . بلغ إبليس القرية، ولم يكد يصـل إليها حتى قصـد الدار التي تسكنها هذه الأسـرة السـعيدة لينتهي من أمرها في سـرعة، ثم يعود على عجل إلى مصـيفه في (دوفيل) حيث كان يتلذذ من إلحاق الأذى بلاعبي الورق. .

كانت هذه الأســرة الســعيدة مؤلفة من ثلاثة: الزوج، وهو شـاب جميل في الخامسـة والعشـرين والزوجة، وهي فتاة جميلة أيضـاً في سـن العشـرين، والولد، وهو طفل لطيف في الأشهر الأولى من عمره. .

وكانت هذه الأسـرة تسـكن منزلاً صـغيراً جميلاً شـيد على رابية تشـرف عليها جبال الألب الشـاهقة وكأنها أسـوار رفعتها يد العناية لحماية القرى المجاورة وســكانها الهادئين، من حوادث الطبيعة العظيمة. .

ذهب إبليس يزو الأســرة الســعيدة في زي بائع أم متجول، كي يتعرف موضــع عمله، فلم يجد الزوج إذ كان في عمله بالحقل، ولكنه وجد الزوجة في الحديقة تدلل طفلها، وقد

ضـــمته إلى صـــدرها. حقاً! إن الســـعادة كانت بادية بأجلى مظاهرها على وجه الزوجة، ولكنها اعتذرت في لطف عن عدم الشـراء، قم قدمت إليه قدحاً من النبيذ ليرفه به عن نفســه من عناء المسـير، فشـربه إبليس ثم شـكر الزوجة وانصـرف وهو حانق على مجلس الشـــياطين الأعلى الذي أزعجه في مصيفه (بدوفيل) لأمر تافه مثل هذا، لأن القضـاء على سعادة هذه الأســـرة بســـيط جداً، فقد يكفي إعطاء الطفل جرعة من جراثيم الدفتريا، ليقضـي عليه فوراً، فتصـبح الأسـرة في يأس ونكد كم واجه إبليس حوادث أدق في (دوفيل)! إنه ما يزال يذكر مع الغبطة حادث البارونة س. . التي وســـوس إليها أن تبيع حليها لتعطي ثمنها إلى عشيقها كي يخسر هذه النقود على المائدة الخضـــراء أولاً فأولاً، ولما نفذت الحلي وهدد العشـــيق البارونة بالهجر، لجأت إلى تزوير إمضـــاء وجها على شـــيك، ولكن اكتشـــف التزوير فاضـــطرت البارونة أن تنتحر اتقاء للفضيحة والعار

في مساء يوم زيارته لمنزل تلك الأسرة، اقتنص إبليس بضـعة جراثيم دفتريا فوضـعها في قنينة ثم حفظها في جيبه. . ثم ذهب إبليس في اليوم التالي يزور الزوجة، وقد تزيا في هذه المرة بزي بـائع حرائر، ولن لم يكـد يقترب من المنزل حتى سـمع صـوتاً جميلاً ينبعث من الحديقة لم يسـمع أعذب منه منذ خروجه من الفردوس، فوقف يصـــغي إليه. . ثم تقدم خطوات. . . فشـاهد الزوجة الجميلة مكبة على طفلها وهو راقد في مهده تناغيه. تأثر إبليس بجمال هذا النظر تأثراً شـديداً، فألقى القنينة بعيداً وانسحب كي لا يعكر صفاء هذه الأم الجميلة. .

أحس إبليس في طريق عودته الى الفندق بسعادة عميقة تغمر نفسه، فخبأ وجهه بين يديه حتى لا يراه شيطان آخر على هذه الحالة، فيحاول أن يقضي على سعادته!

يا للعجب! إن إبليس عاشق! إنها حقاً نهاية النهايات!

أخذ إبليس طوال الليل يفكر في حاله، لا يدري ما يفعل. . فكرأولاً في قتل الزوج ليتقدم بعد ذلك الى المحبوبة في صورة شاب جميل سري، ولكن تراءى له عندئذ المحبوبة سابحاً في الدموع على فقدها زوجها، فأقصى عنه تلك الصورة القاسية المنطوية على الحقد والأنانية، لأن إبليس لم يعد شريراً وقد طهر الحب قلبه. .

وللمرة الأولى، أحس إبليس انه بائس، أشد بؤساً من متسولي الهند. . .

وللمرة الأولى أيضاً، بكى إبليس، وكانت دموعه هذه المرة دموعاً بشرية بيضاء على غير العادة، إذ كانت عيونه قبل ذلك تفرز سائلاً أسود مثل نفسه السوداء. . .

ولما لم يجد إبليس وسيلة للاستيلاء على المحبوبة دون تكدير صفوها، قرر أن ينتحر. .

غادر إبليس الفندق وسط الظلام، ثم ذهب فتسلق أعلى قمة في الجبل وقفز منها الى السماء، فاحترق جسمه من السرعة التي انطلق بها في الجو. . .

وهكذا قضى إبليس نحبه حاملاً معه أول وآخر حب له!

ولكن هذا لم يمنع المراصد الفلكية أن تذكر في تقريرها، في اليوم التالي، أن شهاباً هوى بجهة قرية س. . . في جبال الألب، وهو شهاب يجهله عالم الفلك للآن فأحدث سقوطه نوراً ساطعاً

قصة أميرة مصرية

جلس الإله أوزيريس قاضـــي قضـــاة (الأمنتي) وهو الذي يحاســـب الموتى في أعمالهم في الحياة الدنيا، إلى مكتبه يراجع ملفات بعض الموتى، وكانت نافذة المكتب تشـرف على حدائق (الأورو) الغنـاء حيث حجم الزهور أضـــعاف حجم زهورنا الأرضـــية، ولكن أوزيريس لم يبال المنظر الجميل الذي أمامه، لأنه كان مشـــغولاً بمراجعة قضـــايا الموتى، وقد استلفت نظره على وجه خاص الملف الآتي، وهو لخادم شاب من أهالي منفيس. يقول صاحب الملف:

أنا (ســـبدو) بن (واخ) كنتُ خادماً في قصـــر الأميرة العظيمة تتا بمنفيس. . .

أي أوزيريس! سـيد (الأمنتي) إني أنشـر قصـتي بين يديك: أنا (ســـبدو) بن (واخ) هربتُ من المدينة وذهبت إلى الصحراء، حيث قتلت نفسي بيدي لتأكل جسدي الوحوش حتى لا أبعث، لأني لا أرغب في هذا البعث، بل لا أستحقه. .

وكتبتُ هذه الوثيقة خشـــية أن أبعث على الرغم مني، وذلك بأن يعثر البدو على جســـدي قبل أن تفترســـه الوحوش فيحنطوه شفقة منهم. . . فإذا بُعثتُ أي أوزيريس! فعاقبني أشد العقاب. . .

إن أقاربي يســـتطيعون أن يقدموا إليك القرابين ابتغاء مرضـاتك والتماس عفوك، ولكن لا تسمع إلى توسلاتهم، لأني مذنب شديد الذنب لا أستحق الشفقة. . .

كنتُ بستانياً لدى الأميرة تتا، وهي سيدة عظيمة تعيش بقصـــرها في عزلة عن العالم منذ أن فقدت زوجها في إحدى

الحروب النوبية، ولم تكن لها تسلية غير ابنتها (شفيت)، وهي فتاة جذابة خلابة نضيرة، أشبه بزهرة اللوتس عندما تتفتح في الفجر. . . . .

لقد أحببتها لأول وهلة. . إن قلبي كاد يثب من صدري حينما دنوت منها يوماً في الحديقة، وقد نزلت الأميرة تقطف بعض الزهور التي تحبها، وليس غريباً أن تحب الأميرة الزهور، فهي شبيهة بها في نضارتها. . . ساعدتها في القطف حتى لا يدمي الشوك أناملها الطفلة. . . شكرتني الأميرة الصغيرة في ذلك اليوم بابتسامة ساحرة دون أن تنظر إلي، لأني حقير ممعن في الحقارة بالنسبة إليها، وكنتُ فوق ذلك دميماً بل دميماً جداً. . .

أي أوزيريس! كم عذبني الحب! إن شياطينك القادرة لم يكن في استطاعتها أن تفعل بي مثل ما فعل الحب. . .

كنت أقضي الليل مؤرقاً، بل مختبئاً وراء الأشجار عند نافذة الأميرة، أتلمس رؤيتها. .

كم ليال لذعني فيها البرد القارس وأنا في مخبئي أشتهي ضم ذلك الإنسان الجميل، ولكن بلا أمل، كما يشتهي الهر ضوء القمر وهو منعكس على المستنقع، وقد حسبه لبناً في طبق. . .!

ولقد أصبت بغيرة شديدة من جراء هذا الحب. . بلغ من غيرتي على الأميرة أني كنت أغضب حينما تنظر هي من نافذتها إلى القمر، لأني تخيلت أن القمر يبتسم لها ويغازلها. . صعقت يوماً بنبأ خِطبة الأميرة إلى أحد أقارب فرعون. . . فكرت في أول الأمر أن أقتل نفسي، ولكن الغيرة التي أنشبت مخاليبها في قلبي، أمرتني بقتل الأميرة قبل أن أقتل نفسي، حتى لا ينعم بها أحد. . .

وإليك أوزيريس كيف نفذت جريمتي:

نزلت الأميرة يوماً إلى الحديقة تقطف زهراً، فدنوت منها أساعدها وقلت:

اميرتي، إن عندي ســـراً عظيماً، هل تأذنين لي أن أفضي به إلي؟

قالت في شيء من الاهتمام: وما هذا السر؟

قلت: عثرت على كنز عظيم يحوي أساور من الذهب، وأقراطاً من الفضــة، وخواتم من اللازورد. . . فقاطعتني قائلة في اهتمام شـديد هذه المرة، لأن للنسـاء ضـعفاً أمام الحلي كما تعلم

- وأين الكنز؟ إلي به!

قلت: إذا شئت يا أميرتي ذهبت بك إليه.

قالت: وهل مكانه بعيد؟

- قلت: كلا! إنه على مسافة قليلة من القصر

قالت: أين هو؟

قلت: في الصحراء

قـالـت: لنـذهـب على الفور، اذهـب فنـاد وصـــيفتي لتصطحبنا. .

قلت: أرجو أن تأتي وحدك يا سيدتي، إذ يجب أن يبقي أمر الكنز مكتوباً، لأن فرعون لو علم به استولى عليه؟؟

قالت: إذن هيا بنا. .

سرنا في الطريق، وكنت أثناء المسير أود أن أضمنها إلي، ولكن كان لجمالها روعة نهتني عن ذلك. .

ولما بلغنا مكاناً خالياً في الصـــحراء، أدخلت الأميرة في نفق حفرته بالأمس على ســـعة مقبرة في جانب الجبل، ثم قلت: إليك الكنز! ولما دخلت الأميرة متشـــوقة إلى رؤيته، أغلقت عليها النفق بحجر ضخم كنت أعددته بالأمس أيضاً لهذا الغرض، ثم غادرت المكان تواً حتى لا تضعف نفسي في آخر لحظة فأعود عليها. . هاهو ذا جرمي أي أوزيريس! ولكني تمكنت من أن أحرم أي إنسان مساسها والتمتع بها، حتى أنتم معشـــر الآلهة حلت بينكم وبين الوصـــول إليها، فقد حرمت الأميرة من التحنيط بهذه الطريقة التي ماتت عليها، فهي لن تبعث في العالم الآخر! وبينما كان أوزيريس منهمكاً في قراءة هذه الوثيقة الغريبة، إذا ولده هوروس الشـاب يقبل عليه يطلب منه شيئاً فالتفت إليه أوزيريس وناوله الوثيقة وقال:

اقرأ: أي عقاب يستحقه هذا الرجل؟

فتناول هوروس الوثيقة في امتعاض لأنه لم يأت لهذا الغرض، ولنه ما كاد يبدأ في تلاوتها حتى أهتم اهتماماً عظيماً، وما كاد يتمها حتى ألقى بها جانباً على المكتب وخرج يعدو، ناسياً مطلبه من أبيه:

فتبعه أوزيريس وهو يصيح:

إلى أين؟ إلى أين؟

فقال هوروس: إلى النفق الذي فيه الفتاة فلعلي أبعثها!

موعد

لماذا تسـرع هذه الفتاة في السـير؟ لماذا؟ إنها خفيفة الخطى كأنها القبرة، وكأنها عما قليل سـتطير عن رصـيف الشـارع. .! لماذا تسـرع في السـير؟ لو أنها ذاهبة إلى عملها لكان هناك ما يبرر هذه العجلة، ولكن هذا غير مسـتطاع لأن الساعة الآن السادسة، والمكتب الذي تعمل فيه قد أغلق أبوابه منذ السـاعة الخامسـة. . لماذا تسـرع الفتاة في السير إذن؟ إنه يكفي أن تلمح في وجهها علائم البشـر والاغتباط لتدرك لماذا تسرع في خطاها. . إنها على موعد من حبيبها. .

إنها سعيدة، ولما كانت سعيدة أصبحت تعتقد أن الناس كلهم سـعداء مثلها. . . ولكن انظر إلى هذه الطفلة الفقيرة النائمة على طوار الشـارع بجانب الحائط، لا يمكن أن تكون سـعيدة وهي على هذه الحال من البؤس، أحسـت نحوها الفتاة بحنو شـديد حتى فكرت في تبنيها. . . ربما تبنتها لدى عودتها من الموعد. . ها هو أيضـاً كلب لا يمكن أن يكون سـعيداً، لأنه مجروح، يتألم من جرحه، فقد قذفه أحد الأطفال الأشقياء بحجر فأدماه، تود الفتاة لو أنها تحمله إلى الصـيدلية لتضـميد جرحه، ولكنها مع السـف متعجلة، فهي على موعد من حبيبها، وقد تأخرت عنه، فالموعد في الساعة السادسة، والساعة الآن ست عشرة. . . مسكين حبيبها لابد أنه قلق من طول الانتظار! إنها ترغب في ركوب سـيارة لتدركه بسـرعة، ولكنها تخشـى أن يرفض سائق السيارة توصيلها، لأن المكان الذي ينتظرها فيه الحبيب قريب جداً، فهو على خطوات منها. . تنتقل الفتاة إلى الطوار الآخر، تخترق الطريق وهو غاض بالحركة دون أن تنتظر إشـارة الشـرطي المؤذنة بالمرور. . حقاً! إن أمر هذه

الفتاة عجيب! ألكونها تحب تظن نفسها معصومة من الأخطار؟ تدخل المقهى حيث ضرب لها حبيبها موعداً. . . . . إنها تحس بدوار خفيف عندما وضعت رجلها على عتبة المكان، إن قلبها أيضاً ليس في حال طبيعية، أنه يخفق بسرعة، إذ هو أشد منها رغبة في ملاقاة الحبيب، ولكن لماذا تجهم وجه الفتاة فجأة؟ لماذا؟ لم تجد حبيبها في المقهى، بحثت عنه في كل ركن ولكن بدون فائدة، إنها تحس خوراً في قواها، لذلك جلست هناك إلى مائدة، ثم أخذت تنظر إلى ساعتها اليدوية التي أشار عقربها إلى السادسة والثلث، ثم نظرت إلى ساعة المقهى الكبيرة المعلقة في صدر المكان، كأنها لم تقتنع بساعتها، فإذا هي أيضاً السادسة والثلث. . . تنادي الخادم فتسأله: هل ساعة المقهى مضبوطة؟ فيؤكد لها الخادم ذلك. . علامَ هذا القلق؟ علامَ؟ إن الحبيب سوف يحضر. . . لعل طارئاً قد عاقه. . . إنها تطلب فنجاناً من القهوة لتهدئة أعصابها، ولكن تأتي القهوة وأعصابها ما زالت مضطربة. . . تتناول مجلة لتلهى بها نفسها ولكنها تعيدها بعد برهة إلى مكانها، لأنها لا تفهم ما تقرأه، مع أن المجلة ليست علمية صعبة، بل هي تتحدث عن نجوم (هوليود). .

تعود الفتاة إلى إرهاق ساعتها، تنظر إليها مرة، ثم ثانية، ثم ثالثة، ثم تعيد النظر في ساعة المقهى. . ربّ! كيف مر الوقت بهذه السرعة؟ إن العقرب أشرف على السابعة! هل داخل الساعة شيطان يا ترى يعجل الوقت لإغاظة الفتاة؟ يأتي الخادم وقد رآها قلقة، فيسألها: هل تنتظرين أحداً يا سيدتي؟ فتجيبه متلهفة بالإيجاب، ثم تعطيه علامات الحبيب لعله يكون قد رآه، ولكن الخادم آسف لأنه لم يشاهده. .

تتأهب لمغادرة المقهى إذ يئست من الانتظار، تغادر مكانها وهي أشد حزناً من حمامة هجرها أليفها، ولكنها تعود

ثانية إلى المقهى فقد نسيت أن تؤدي قيمة ما شربته. . تقف برهة على الباب، إذ عساه يحضر. . ثم تطأطئ رأسها وتنصرف. .

تعود إلى المنزل، ولكنها تسلك هذه المرة طريقاً أخرى غير الطريق الأول، لأنها لم تعد ترغب بعد في تبني الطفلة الفقيرة، ولا في تضميد جرح الكلب. تدخل حجرتها فترتمي على السرير لأنها تحس بتعب شديد كأنها صعدت جبال (الهملايا) مع أنها في الواقع مشت قليلاً. . ليس ما بها من التعب، بل من الحزن، الحزن العميق. . .

تركت باب الحجرة مفتوحاً لتسمع التليفون إذا دق، فهي تأمل أن يعتذر الحبيب إليها. . . يدق التليفون فتسرع إليه، كما يسرع الغريق إلى قارب النجاة. . . . يالخيبة! ليس هو الحبيب الذي يتكلم، بل هو إنسان آخر قد أخطأ الرقم، يدق التليفون من جديد فتهرع إليه الفتاة، فإذا المتكلم سيدة تسأل عن (س) الجزار. . .! ثم يدق التليفون مرة ثالثة، في هذه المرة هو الحبيب الخاطب المتكلم، لأن الفتاة اغتبطت فجأة اغتباطاً عظيماً كأنها ربحت اليانصيب الأيرلندي. . . الخاطب يسألها عن سبب تأخرها لأنه ظل ينظرها ساعتين كاملتين في المقهى، وكان أنظاره في المقهى آخر، إذ أخطأ اسم المكان، الفتاة تسرع في الذهاب إليه، وقد زال عنها تعبها في غمضة عين، إنها تنهب الدرج نهباً أثناء النزول، فتزل قدميها وتسقط سقطة مؤلمة، ولكنها لا تحس ألماً، بل تضحك من أجل هذا ضحكاً متواصلاً. ثم أخذت تفكر مرة أخرى في تبني الطفلة الفقيرة، وفي إسعاف الكلب الجريح!. .

قلعة الرمل

كانا يسـيران على الشـاطئ غير معنيين بما حولهما وهما يتبادلان هذا الحديث:

هو - عزيزي، إني آسـف إذ تـأخرت عن موعدك؛ ولكن صـديقاً حميماً لم أره من زمان طويل اعترضـني في الطريق استوقفني ملياً. . .

هي - لا عليك من ذلك، فثمة ما يدعو للاعتذار

هو - ولكن لماذا أجدك وحدك؟ لم لم تذهبي إلى السيدة (س) لتأنسي برفقتها؟

هي - أني أوثر العزلة، كي أشـهد في سـكون تلك الصفحة الزرقاء العجيبة المنبسطة أمامي. . .

هو - ولكن البحر ثائر اليوم، إني لا أحبه في مثل هذه الحال؛ إنه ليشبه وجه عجوز قد غضنته السنون

هي - أنت تراه كذلك؟. . . أحسبك زعمت لي مرة أنك تحب البحر وهو هائج، لأنه يشـبه قطيعاً من الخراف البيضـاء اللطيفة!. . .

هو (في حيرة) - هل. . . هل ينزل البحر؟

هي - نعم، وأنت؟. . .

هو أنا سأنتظرك في المقصف، لأني على موعد هناك؛ أتأذنين لي في الذهاب؟

هي - الآن؟. . .

هو - أجل. . . .

هي - لك ما تشاء!. . . (ثم افترقا)

الفتاة في هم شديد، لأن صاحبها لم يعد يحبها؛ إنها لا تشبهك في أنه بدأ يملها، فقديماً لم يكن يسمح لها أن تنزل إلى البحر وحدها وهو كذلك مضطرب مائج، وهو لم يلاحظ ثوب البحر الجديد الجميل الذي كانت تلبسه، مع انه نال إعجاب جميع الذين شاهدوها تخطر به على الشاطئ. . . تنهدت الفتاة قائلة: (آه! لماذا لم تخلق القلوب البشرية متشابهة كلها؟ لماذا خلق كل قلب يعيش من عواطفه في دنيا وحده؟)

وبينما الفتاة غارقة في هذا التفكير، إذ وقع نظرها على أطفال يبنون قلعة من الرمل، وهم يهللون ويلغطون فرحين. بدد هذا المنظر البهيج خواطر الحزن التي كانت تستبد بالفتاة، فوقفت ترقب في اهتمام عمل الصغار، ولما انتهى بناء القلعة وضع الأطفال في كل ناحية منها قطعة من الخشب على شكل مدفع، ثم اختلفوا على جنسية العلم الذي يرفع على القلعة، إذ كان كل منهم يحاول أن يرفع رايته؛ وبعد جدال ومداولة، اتفقوا على رفع راياتهم جميعاً عليها ونال كل منها حظه من المجد. عندئذ صاحت الفتاة في دهشة: ولكن ملك أي دولة هذه القلعة؟ فأجابوا ملك جميع الدول

فقالت الفتاة: آه ما أمهركم في السياسة أيها الصغار! لو أن آباءكم لم يعرفوا الأثرة لأراحوا العالم من مشاكل عدة! ليت رجال السياسة ظلوا أطفالاً. . .! ولكن، هاهي ذي موجة عظيمة تطغي على الشاطئ فتبتلع القلعة بمدافعها ورياتها؛ فوقف الأطفال لحظة واجمين، ولكن كم كانت دهشة الفتاة عظيمة حينما رأت هذا الوجوم ينقشع بغتة، ثم هو ينقلب إلى ضحك ومرح ونشاط، إذ استقر رأيهم على بناء قلعة أخرى

من فورهم، تكون أروع وأفخم من القلعة الأولي. . كم كانت الفتاة تغبط هؤلاء الصغار على تلك السرعة التي سلوا بها أشجانهم، أنها تعطي كل ما تملك لكي تتمكن نمن أن تستبدل بقلبها الكليم أحد هذه القلوب الغضة! ثم أخذت تتذكر طفولتها السعيدة أيام كانت آلامها النفسية لا تدوم أكثر من لحظة. .

الفتاة حزينة، حزينة جداً، لأن حبها في دور النزع، فها هو ذا حبيبها يتأخر عن مواعيده، وهو ذا بدأ يتعلل بالمعاذير؛ فهل يكون ذلك إلا المقدمات المألوفة للفراق. . .؟ الفتاة تذكر في حسرة وألم مقدار ما كان تعلق حبيبها بها في بداية حبهما. . وتذكر كيف كان لا يقوى على فراقها لحظة، حتى أن أحد أقاربه الأعزاء قد مات فلم يشترك في جنازته حتى لا يفرق ذلك بينهما وقتاً ما. .! وكم زعم لها أن وجودها بجانبه ضروري له ضرورة الماء للسمك. . والآن، الآن، هو يتلمس الأعذار ليبتعد عنها. .!

ما أغلظ قلب هذا الفتى! إن هذه الأمواج الصاخبة لأرق قلباً منه، وإنها لترحب بالفتاة على حين يفرمنها! كم تود الأمواج أن تضم إلى صدرها تلك الدمية الجميلة ذات الجدائل الذهبية! أتذهب الفتاة إلى لقاء صاحبها في المقصف لا! إنه سوف يستقبلها بتلك الابتسامة المصطنعة البغيضة! وإن لقاء الأمواج لأحب إليها من لقاء هذا الحبيب. . اصبري أيتها الأمواج؟ إن الفتاة الجميلة ذات الجدائل الذهبية تراود نفسها أن تهب لك هذا الجسم الغض، وما أراها ستمتنع عليك، وما أراها ستكون لغيرك. . . . . وكان انتظار الفتى صاحبته في هذا اليوم وبعد هذا اليوم عبثاً. . .

حادث انتحار

عندما دقت الساعة الثانية صباحاً، كان بار (الدب الأبيض) خالياً من خدمه ورواده، عدا رجلين: أدولف الخمار الشيخ الذي ذهب إلى داخل المحل لتصفية حسابات اليوم، وشاب جلس في ركن منزو يشرب ويكتب؛ ولم تمض فترة قصيرة على انزواء أدولف حتى سمع دويّ رصاص في البار، فعاد مهرولاً، فوجد الشاب قتيلاً على كرسيه، قتل نفسه بمسدس كان لا يزال بيده اليمنى. . . فحصه أدولف فوجده قد مات من فوره، بينما السيجارة التي كان يدخنها لا تزال مشتعلة. . وقع أدولف في حيرة من أمره، ثم أخذ يصخب ويلعن، ثم جعل يخاطب نفسه قائلاً: ألم يكن الأجدر بهذا الأبله أن ينتحر في بيته؟

علام يزعج الخلق هكذا؟

ثم فكر أدولف في النوم الذي لن يذوقه الليلة. إذ عليه أعمال كثيرة. . . إخطار البوليس بالحادث، وانتظار التحقيق القضائي الذي سوف يدوم ساعات. . . وعلى رغم هذا شعر أدولف بشيء من العطف عندما نظر ثانية إلى وجه القتيل لأنه كان شاباً بين العشرين والخامسة والعشرين، ثم تنهد قائلاً:

إنه لم يحن أوان موته بعد!

إن الشباب يجلب العطف دائماً، وبخاصة من جانب الذين فقدوه أمثال أدولف، أو من جانب الذين فقدوا أشخاصاً يعزونهم ماتوا في ميعة الصبا، أمثال أدولف أيضاً، الذي فقد في العام الماضي ابنة لم تبلغ العشرين بعد. . .

وبعد أن أخطر أدولف البوليس بالحادث رجع عند الجثة، ثم أخذ يحدق في وجه القتيل! إنه لا يعرفه أبداً، فلقد كانت هذه زيارته الأولى للبار. . . ثم رأى أدولف ورقة مكتوبة أمام الشاب فتناولها مدفوعاً بحب الاستطلاع، فقرأ ما يأتي:

الموقع على هذا (س). . المولود في. . والمقيم في. . يقدم اعتذاره إلى صاحب بار الدب الأبيض من القلق الذي سيسببه له بعمله هذا. إن (س) يأسف لأنه لم يستطع أن ينتحر في بيته كما كانت تقضي بذلك اللياقة، لأن صاحبة الفندق الذي يقيم فيه سيدة عجوز مريضة بالقلب، فأي انفعال يقضي عليها؛ وإذا كان (س) قد اختار البار لفعلته، فلكي يستطيع أن يتناول بضعة أقداح من (الويسكي) تنعشه في رحلته الطويلة المظلمة. . ومع ذلك فإن (س) واثق من أن هذا الحادث سوف يعوض لصاحب البار ما أصابه من ضرر، يعوضه بالإعلان الذي يعمله هذا الانتحار للمحل. . إن (س) لا يأسف كثيراً على مفارقة الحياة لأنه لم يعد يملك شيئاً، والحياة بلا مال، أمرّ في نظره من جرعة ملح. . ثم (س) فوق ذلك لا يثق بالمستقبل، ولا بنفسه، فهو يعلم أنه لا شيء، وأنه لن يصير في يوم من الأيام رجلاً مثرياً. . ومع ذلك فإن (س) لم يخلف ديوناً. . بل لا يزال في حجرته بالفندق بضعة جنيهات، وهو يهديها إلى جمعية الرفق بالحيوان، لأنه لا يحب أن يخلف شيئاً لبني جنسه، إذ هو يحتقر الطبيعة البشرية، ولا يستثني منها نفسه. . إذ لم يكن ملاكاً في الحياة الدنيا، بل كان كغيره مخادعاً. . بل (س) يأسف لأنه لم يحسن الخداع في الحياة، لأن الحياة في نظره كلعبة (البوكر) لا يربح فيها إلا البارع في الخداع. .

ومن الأسباب القوية لانتحار س أيضاً، أن ضميره لم يكن مستريحاً، فقد كان سبباً في وفاة فتاة في العام الماضي في ريعان الصبا، ماتت كمداً لأنه وعدها بالزواج ولكنه لم يف

بوعده، لأنه فقير لا يستطيع أن يتزوج، وهو لا يعترف بالحب مع البؤس. كم ودّ (س) أن يتناســـى هذا الحادث! ولكن ماذا يفعل في ذلك الشيطان الصغير الذي يقطن داخل جسدنا والذي أخذ ينغّص عليه الحياة من أجل هذا الحادث؟. . . لهذا تجد (س) غير نادم كثيراً على مفارقة الحياة. . . وبهذه المناســـبة يطلب (س) الصفح من هيلانة (وهو اسم الفتاة). . .

ولكن أدولف الخمار لم يكمل قراءة الورقة، بل قذف بها صارخاً: آه من الوغد! مسكينة هيلانة!

فلقد كانت هذه الفتاة ابنته. .

القفاز

(س) عنده الصفات التي تكفل عادة للمرء النجاح في ميدان الحياة: الذكاء والشباب وحسن المنظر. . ولكنه خجول لسوء الحظ إلى حد بعيد، وقد أفسد عليه خجله أموراً كثيرة وعاق مستقبله، إذ أن س لا يعمل غير عمل متواضع، في محل تجاري متواضع. .

ماذا يفعل (س) في خجله؟ ماذا؟ لماذا عالج هؤلاء الإغريق الحكماء الفهاهة بوضع قطع من الحجر في الفم ولم يفكروا في معالجة الخجل؟. .

وإذا كان خجل (س) عاق مستقبله المادي، فإنه كان اشد عليه ضرراً في ميدان العاطفة. . إذ انه برغم كونه في ريعان الصبا لم يعرف الحب بعد. . أو على الأصح لم يتصل بفتاة ما. . مع انه تواقاً بشدة إلى الحب. . كم خفق قلبه في (السينما) عندما يتلاقى المحبان على الشاشة بعد فراق طويل!. وكان إذا عاد إلى منزله بعد مشاهدة مثل هذه المناظر الغرامية، يرتمي إلى المخدة ليدفن فيها حزنه وألمه، ويأخذ في البكاء الشديد. . لم يجد (س) في حياته الجرأة لمغازلة الفتيات، حقيقة إن بعضهن غازلنه، ولكن س لم يكترث لهن، لأنهن كن يتفاوتن في الدمامة، و (س) لا ينظر إلا إلى الجمال، لان الحب في نظره أمر سماوي مقدس. . وكثيراً ما كان يذهب إلى المتنزه العمومي، حيث كان يأمل التعرف بسهولة إلى حبيبة القلب المرتقبة. . فهناك ربما تنسى فتاة منديلها، (أو حقيبة يدها) على أحد المقاعد، فيلتقطه ويقدمه لها، فتتم بهذه السهولة المعرفة بينهما. .

يا للعجب! هاهي أمنية (س) تتحقق، لان المقادير التي تضن علينا بكسب سباق (الدربي)، لاتضنّ علينا بتحقيق أمانينا المتواضعة. .

إليك كيف تحققت أمنية (س):

شـاهد (س) ذات يوم سـيدة رائعة الجمال (كما تخيلها في أحلامه) تجلس في المتنزه على أحد المقاعد وهي تقرأ كتاباً في يدها باهتمام شـديد، فجلس (س) حيالها على مقعد يترقّب فرصة التعرف إليها. . ثم لم يمض زمن طويل على هذا، حتى نهضت السيدة من مكانها ونسيت حقيبة يدها على المقعد (كما تمنى س) فنهض من فوره ليلتقط الحقيبة ويقدمها إليها، ولكن قدوم شـرطي في هذه الأثناء أفسد عليه الأمر إذ خشـي س إن يحسبه الشرطي لصاً. . وكان من حظ الشرطي تقديم الحقيبة لها، وقد شكرته السيدة بابتسامة ساحرة وانصرفت. .

مسـكين (س)، كم كان مغتماً لخروجه من المتنزه في ذلك اليوم!. .

ولكنه لم ييأس، فعاد في اليوم التالي إلى الحديقة في المكان نفسـه، عسـاه يجدها هناك مرة أخرى، فإذا بالسـيدة الحسناء جالسة على المقعد نفسه تقرأ!. . وكان من حسن حظه إن السيدة نسيت في هذه المرة أيضاً حقيبتها على المقعد، لدى انصرافها، فالتقطها وهرع فقدمها إليها، قائلا في تردد شديد:

- إنها المرة الثانية التي تنسين فيها حقيبتك يا سيدتي!

- هذا حقيقي! ولكن كيف عرفت ذلك؟

- كنت هنا بالأمس عندما فقدتها، لقد هممتُ وقتئذ بالتقاطها وإعادتها إليك، ولكن قدوم الشرطي أفسد عليّ الأمر فقد خشيت أن يظنني سارقاً. .

فضحكت السيدة عندئذ ضحكة عالية لسذاجة الشاب وبساطته. . ثم أذنت له في مرافقتها في السير، كما تولت إدارة الحديث بعدما رأته على هذه الحال من الخجل:

- إني لا بد أن أنسى شيئاً عندما أقرأ كتاباً. .

- إن ما تقرئينه لا بد أن يكون ممتعاً جداً حتى ينسيك حقيبتك يومين متواليين. .

- هي رواية بوليسية. . إني شديدة التعلق بالروايات البوليسية لأن حبك الدسائس يتطلب ذكاء نادراً. .

كم أسف (س) عندئذ لعدم قراءته قصصاً بوليسية، ولقد بدا عليه الآسف واضحاً. .

قالت - ربما كان المشي يتعبك؟

- أبداً!

يا لسذاجتها! إن (س) ليصعد معها جبال الهملايا عن طيب خاطر!

- إني مضطرة إلى المشي كل يوم. . لمعالجة الأملاح. . .

تذكر (س) عندئذ اسم دواء للأملاح كان أوصى به طبيب لأخته فصاح قائلا:

- هناك دواء نافع للأملاح أسمه. . . .

ولكنها قاطعته في سحرية:

- دواء؟ صدقني ليس هناك ما هو خير من المشي. . .

وبعد أن تنزها نصف ساعة وصلا إلى باب الخروج فاستأذنت وانصرفت بعد أن وعدته بالحضور إلى الحديقة في اليوم التالي للتريض. . .

كم كان سعيداً في ذلك اليوم! هاهي ذي أحلامه تتحقق! إن جمال هذه السيدة هو أسمى ما يطمح إليه! أما هي، فقد شعرت من فورها (باستلطاف) نحو هذا الشاب الساذج الخجول، لأنها لم تشاهد حولها في وسطها الراقي (إذ كانت من طبقة الأشراف) غير رجال أشبه بالطيور الجارحة. .

وفي اليوم التالي بكر في الذهاب إلى الحديقة، حيث التقى بسيدة أحلامه، وقد تروضا هذه المرة ساعة بدل من نصف ساعة. . .

ثم تقابلا في الأيام التالية. . .

وكانت هذه السيدة الحسناء تلبس دائماً قفازاً أسود طويلاً، ودّ (س). لو نزعته حتى يستطيع أن يطبع قبلة على يديها المحبوبتين. . .

وكان كلما طلب منها ذلك رفضت في لطف. .

وقد ألح يوما عليها فقالت:

- سوف تندم يا عزيزي لو نزعت قفازي. . .

- هل تعنين إن يدك غير جميلة؟

- أجل إن يدي اليمنى بها ست أصابع. . .

- إذن ألثم اليد اليسرى

- اليد اليسرى ينقصها إصبع. . .

- فليكن ذلك

- أقول لك إنك سوف تندم

ولكنه ألح إلحاحاً شديداً اضطرت السيدة إزاءه أن تخلع القفاز، ولكنه بدلاً من أن يلثم يدها التي نزعت عنها القفاز، صرخ صرخة مؤلمة ثم سقط مغشياً عليه إذ لمح في يدها خاتم الخطوبة. . .

اعتذار!

عزيزتي:

أبادر بتقديم اعتذاري الحار من مشهد الغيرة السخيف الذي مثّلته أمامك أمس!. . ومازلت أشعر بخجل شديد كلما فكرت فيه. . في الواقع لم يكن الذنب ذنبي، بل هو ذنب قلبي الضعيف؛ ولقد عاقبته على فعلته إذ عنفته تعنيفاً شديداً، ولكن هذا القلب قد يستحق أيضاً عطفك وحنانك، إذ هو آلة ليس غير في يد تلك القوة الجبارة القاهرة، قوة الحب! مسكين قلبي! إنه مطارد دائماً بنار حامية تدفعه إلى خلق مثل هذه الريب والظنون، ولكنها في الوقت نفسه نار طاهرة مثل نار المجوس، لأنها نار الحب المقدس! كم كنت غبياً في غيرتي تلك! فما الضرر في أنك تحدثت إلى س.! ألا تتحدثين إلى مئات من أمثاله كل يوم أثناء عملك؟ كذلك كان يجب عليّ أن أراجع نفسي فأقول إنه لا يهمك لأنك تبغضين مثل هذا النوع من الرجال المغرورين بجمالهم. فكم كانت ثقيلة متكلفة تلك الابتسامة التي علت شفتيه أثناء تحدثه إليك!

عزيزتي إذا كان قد أزعجك قليلاً ما بدر مني بالأمس، فإن ما حدث لي أنا فيه العقاب الكافي على فعلتي، إذ رأيت الهول ليلة أمس في حلم فظيع. .

شاهدتك في غابة عظيمة، لعلها من غابات الهند، لضخامة أشجارها وكثافة أدغالها. كنت تتنزهين فيها مع شاب لم أتبيّن شخصيته، لأنه لم يلتفت وراءه قط أثناء السير؛ أما أنت! فقد عرفتك من فوري يا عزيزتي، من شعرك الذهبي الرائع، من مشيتك الأنيقة التي تفردت بها دون نساء العالم

أجمع!. . ولكن الغابة كانت أثناء هذا تحترق، والدخان الكثيف يتصـــاعد من كل مكان. . بادرتُ إلى مناداتك لتخرجي من الغـابـة، ولكنـك التفت إلي دون أن تجيبني، كـأنـك لا تـأبهين بالخطر المحدق، بل تؤثرين التنزّه مع ذلك الشــاب وتفضــلينه على كل شيء!. .

أردتُ أن أعدو نحوك لإنقاذك بالقوة، ولكن ســـاقيّ الملعونتين أبتا عليّ ذلك كأنهما تحجّرتا. . .

أما النار فقد أخذت تزداد عنفاً حتى اضطرت الوحوش إلى الهرب من الغابة، والمدهش في هذا الحريق أن ألسنة النار المنبعثة من الأدغال اتخذت أشكالاً مروعة، بعضـها كان على صـــورة الثعبان والبعض اتخذ شـــكل التنين. . على رغم هذا كله، كنت تتابعين نزهتك في اطمئنان مع ذلك الشـــاب الذي تأبط ذراعك اليســرى في حرارة واشــتياق. . . أخذت أناديك مراراً ولكن بلا جدوى! إذ كنتِ تلتفتين إليّ ثم تستأنفين حديثك الشائق مع صديقك! ولكن هذا الحال المؤلمة لم تدم طويلاً ولله الحمد! إذ ســقطت إحدى لوحات ســريري الخشــبية من تحتي فأيقظتني من النوم، وخلصتني من هذا الكابوس!

هنا. . أشعلت سيجارة وخرجت إلى النافذة لأستنشق الهواء لأني كنت متعباً من هذا الحلم كأن ما حدث لي وقع فعلاً. . . وكنت في الوقت نفسه شديد الرغبة في استئناف النوم للعودة إلى هذا الحلم برغم بشاعته لمعرفة شخصية ذلك الشاب الســخيف المســتهتر الذي كان يدعوك إلى النزهة في وســط النار!

عزيزتي! هـذا هو حلمي المروع، ألا ترين أنني عوقبت به عقاباً كافياً؟ ألا تصفحين الآن؟

الرد

عزيزي:

وصلتني رسالتك، ولقد توّلتني الدهشة لكل هذه الضجة التي أثرتها لتتبين شخصية رفيقي في نزهة الغابة. لقد كان في إمكانك الاتصـــال بي وقتها بالتليفون لأخبرك باســـمه، فأوفر عليك مجهودك. . أتريد أن تعرف من هو؟ أعلم أن هذا الشـاب هو (س) بعينـه الـذي تمـت خطوبتي إليـه ليلـة أمس على أثر المشـــادة التي وقعت بيننا، لأني آســفة أيها العزيز على أني لا أستطيع التزوج من مجنون مثلك!

المحتويات

بنت فرعون تحب 3
كلبتي بلوتا..... 6
ابن فرعون يتعلم 11
زنبل..... 15
سنشيتا الأسبانية 18
في طريق المنفى 21
أمير النوبة..... 25
تعتزل الحب!..... 29
يوميد 32
قصه لؤلؤة..... 35
قلب الشاعر 38
الصورة..... 41
إبليس يعشق..... 47
قصة أميرة مصرية..... 50
موعد..... 54
قلعة الرمل..... 57
حادث انتحار..... 60
القفاز 63
اعتذار!..... 68